إلى
لقاء المؤمنين
وبناء الجيل المؤمن

الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام

تأليف
الدكتور عدنان علي رضا النحوي

الطبعة الرابعة
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

الإعداد للطبعة الرابعة
٢٩ جمادي الأخرة ١٤١٧هـ - ١٠ تشرين الثاني ١٩٩٦

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

النحوي ، عدنان علي رضا

الحوافز الإيمانية بين المبادر والالتزام - الرياض .

١٢٨ ص ؛ ١٢ × ١٧ سم

ردمك : ٥ - ٣٢ - ٦٨٧ - ٩٩٦٠

١ . الإيمان (الإسلام)　　٢ . الاخلاق الإسلامية

٣ . التقوى　　أ . العنوان

ديوي ٢٤٠　　١٧/١٧٦٧

رقم الايداع ١٧/١٧٦٧

ردمك : ٥ - ٣٢ - ٦٨٧ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

الطبعة الثالثة: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

الطبعة الرابعة: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

دار النحوي للنشر والتوزيع

ص.ب ١٨٩١ الرياض ١١٤٤١

هاتف وفاكس ٤٠١٠٢٥٧

المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى الدعاة العاملين ،
إلى جنود لقاء المؤمنين ،
إلى بناة الأمة المسلمة الواحدة ،
إلى الراكضين على درب الجنَّة إلى الجنَّة !
إلى لقاء المؤمنين

الافتتاح

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَٰوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ . [آل عمران : ١٣٣]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بادروا بالأعمال سبعاً . هل تنتظرون إلا فقراً منسياً ، أو غنى مطغياً ، أو مرضاً مفسداً ، أو هرماً مفنداً ، أو موتاً مجهزاً ، أو الدجّالَ فشرُّ غائبٍ ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر » . [رواه الترمذي]

المقدمة

لمحة عن الحوافز الإيمانية

إن من أهم ما تهدف إليه التربية الإيمانيّة هو توفير الحوافز الإيمانيّة أو تنشيطها وتنميتها . والحوافز في الإنسان مغروسة في فطرته وطبيعته ، مرتبطة مع سائر القوى المغروسة في الفطرة التي فطر الله الناس عليها . وهذه القوى والقدرات والغرائز والميول ، هذه كلها خلقها الله في الإنسان على صورة متوازنة ، لتؤدي كل واحدة منها وظيفة محددة يريدها الله ، وليُبْتَلى الإنسان بها من خلال سنن رّبانيّة ماضية في الحياة ، يميز بها الخبيث من الطيب . ولقد فصّلنا في هذا الموضوع في كتاب «التوحيد وواقعنا المعاصر» ، وفي كتاب «النيّة في الإسلام وبعدها الإنساني» ، ولكننا نعرض إليه هنا بصورة موجزة سريعة على قدر ما يحتاجه تصوُّر الحوافز الإيمانية وارتباطها بالمبادرة الذاتية وبمعرفة المسلم لحدوده ، وبالنظرية العامة للدعوة الإسلامية .

فالحوافز في الإنسان مغروسة في فطرته . كلُّ إنسَان يسعى في طلب الـرزق وقـد زوّده الله ربُّـه وخالقه بالحافز القويّ لذلك ، وجعل من بعض الغرائز ما يذكّره بالسعي ويدفعه إليه ، كالجـوع والعـطش وغـير ذلك . وهذه الحوافز كلها مغروسة في الفطرة مع سائر ما أودع الله في الفطرة من قوى وطـاقـات . وأهم هذه الطاقات والقدرات والقوى الإيمان والتوحيد ، فبالإيمان والتوحيد ترتبط في خلق الله جميع القوى والميول والحوافز . فما دامت هذه مرتبطة بالإيمان نابعة منه ، تأخذ ريَّها وغذاءها منه ، فإنها تعمل عندئذ في الدرب كما أراد الله لها أن تعمـل ، لتحقيق الغـاية التي أوجـدهـا الله من أجلهـا ، وتكـون حينئـذ قوى خير وصـلاح وحـوافـز خير وصـلاح . إنها في هذه الحـالة تكون حوافز إيمانيّة ، ترتبط بالإيمان والتـوحيد فتـأخـذ منهما الريّ والغذاء ، وتتجه إلى الغاية التي يُحدِّدها الإيمان والتوحيد ، وتمضي على النهج الذي يرسمه الإيمان والتوحيد .

هذه الحـوافـز ، في هذه الحالة ، بهذا الارتباط بالإيمان والتوحيد ، هي ما نسميه « بالحوافز الإيمانية » .

ولا بد للمؤمن من أن تنشط عنده هذه الحوافز الإيمانية لتعمل وتؤدِّي الغاية التي خلقها الله لها . فقد تضمر هذه الحوافز حين يضمر الإيمان ، أو يضيق الريُّ والغذاء . وقد تنفصل هذه الحوافز عن مصدر ريّها وغذائها بما تكسب أيدي الناس من آثام ومعاص ، يضعف معها الإيمان ويضعف الريّ ، حتى تضعف الحوافز كذلك أو تنفصل عن النبع الطاهر الذي يرويها ، فتنحرف الحوافز لتتحول إلى حوافز غير إيمانيّة ، تدفع الإنسان إلى الشر والفتنة والإفساد في الأرض . ومع هذه الحوافز غير الإيمانيّة تفسد النيّة ويفسد العمل ولا يعود مقبولاً عند الله أبداً . وكما ذكرنا قبل قليل فقد فصّلنا في هذه القضية في كتاب « النيّة في الإسلام وبعدها الإنساني » .

ومن أهم أهداف التربية عامة هو تنمية الحوافز لدى الإنسان . والتربية الإيمانيّة تهدف إلى تنمية الحوافز الإيمانيّة لدى المسلم حتى تصدق نيّته ويصدق عمله .

فإذا نشطت الحوافز الإيمانية لدى المسلم ، وأخذت ريّها وغذاءها من الإيمان والتوحيد ، أطلقت عندئذ المبادرة الذاتية

في دربها الصحيح وإلى الهدف الصحيح وبالأسلوب الصحيح .

وإذا نشطت الحوافز الإيمانية على هذا النحو الذي ذكرناه ، فإن المسلم يكون أقدر على معرفة حدوده ليلتزمها ، وليكون أقدر على الموازنة بين الانطلاق في مبادرة ذاتية وبين التزام حدوده والوقوف عندها .

وبين هذا الانطلاق وهذا الالتزام تدور موازنة أمينة في حياة المؤمن لتصوّر لنا هذه الموازنة شكلاً من أشكال الابتلاء والتمحيص الذي كتبه الله على بني آدم .

من هنا ، من أهمية الموازنة وخطورتها ، تنشأ الضرورة لإعداد المسلم وتدريبه على صدق الممارسة الإيمانيّة سواء أكان ذلك بالانطلاق في مبادرة ذاتية أو بالالتزام بحدود . ومن هنا يتضح لنا أهمية التربية والإعداد ، والبناء والتدريب ، حتى يرعى المسلمون هذه الطاقات الإيمانية حق الرعاية التي أمر الله بها ، وحتى يُقوّم المسلمون النهج والمسيرة على بصيرة وهدى .

لذلـــك كانت « المبـادرة الـذاتية » ، و « معـرفـة المسلم لحدوده » ، قضيّتـين هامّتين من قضايا الممارسة الإيمانية كما عرضناها في كتاب : « نهج الدعوة وخطة التربية والبناء » ، لتكون هذه القضايا التي عرضناها هنا موضع التدريب في منهج اللقاء ، لقاء المؤمنين ، في مدرسة الدعوة الإسلامية ، ولتنمو أساليب التدريب ووسائله مع مضيّ الممارسة والدراسة والأبحاث .

إن هذه الـدراسـة التي نقـدمهـا هنـا ، مع غيرهـا من الدراسات في كتب الدعوة تمثل جزءاً من النهج والتخطيط الذي نهدف إليه في ميدان الدعوة الإسلامية ، حتى يخضع العمل إلى قواعد مدروسة ، ونهج مدروس ، يقوم ذلك كله على نظرية عامـة للدعـوة الإسـلامية ، نظرية عامـة لها : أسسهـا ، وعنـاصرها ، ونهجها وأهدافها ، خاضعة كلها لمنهاج الله قرآناً وسنّة ولغة عربيّة ، وملبّية لحاجات الواقع المتجدد .

وسنبحث في الصفحات المقبلة قضيّتين هامتين من قضايا المـمارسة الإيمانية تمسّان واقعنا اليوم هما : المبادرة الذاتية ،

ومعرفة المسلم لحدوده ، والموازنة بين ذلك كله .

والحمد لله رب العالمين

الرياض : ١/ ١/ ١٤١٢هـ　　　　**عدنان علي رضا النحوي**
١٢/ ٧/ ١٩٩١م

الفصل الأول

المبادرة الذاتية

الفصل الأول
المبادرة الذاتية

١- تعريف وتمهيد :

المبادرة الذاتية الإيمانية هي انطلاقة المؤمن ومسارعته إلى عمل صالح بحافز ذاتيّ من نفسه ، بعد أن يتوافر في نفسه الميزان الأمين ليُحدِّد العمل الصالح من سواه ، وليطمئنَّ إلى أنه لا يتجاوز حدوده ، ولا يعتدي على غيره ، ولا يدخل في فتنة تغضب الله .

من هذا التعريف ندرك أن **المبادرة الذاتية هي إحدى خصَائص الممارسة الإيمانية** ، كما سبق أن أوضحنا وذلك في أكثر من كتاب من كتب الدعوة الإسلاميّة ، وخاصة في كتاب «التوحيد وواقعنا المعاصر» ، و «النهج والممارسة الإيمانيّة في الدعوة الإسلامية» ، وغيرهما .

ومن هذا التعريف ندرك أيضاً أن **المبادرة الذاتية تنطلق من المؤمن نتيجة توافر عوامل إيمانيّة** ، تتجمّع في نفسه

وقلبه ، وفي فكره وتَصوُّرِه ، فتدفعه إلى هذا العمل أو ذاك .

ونوجز هذه العوامل كلها بأربعة عوامل رئيسة تجمع في داخلها أي عوامل أخرى مؤثرة في المبادرة الذاتية الإيمانية :

١- صفاء الإيمان والتوحيد وقوتهما .
٢- العلم بمنهاج الله قرآناً وسنة .
٣-العلم بالواقع الذي يتحرّك فيه المؤمن .
٤- الخبرة والمران ، والإعداد والتدريب على ممارسة منهاج الله في الواقع البشريّ .

إن صفاء الإيمان والتوحيد يوفر الحافز الرئيس في نفس الإنسان ، حين يتجدَّد له هدفه الأسمى في الحياة الدنيا ، هدفه الأكبر والأعظم ، ألا وهو الجنّة والشوق إليها . وبمقدار مايقوى الإيمان ويصدق التصوّر يقوى هذا الحافز العظيم . وأي حافز ذاتي آخر ينشأ في قلب الإنسان ، لا بدّ وأن ينشأ من الحافز الأول العظيم ويرتبط به ، ويتغذّى منه ، ويأخذ منه ماءه ورواءه ، وقوته وطاقته .

أما العلم بمنهاج الله ، قرآناً وسنة ، فهو يوجّه الدرب

ويسدِّد الخطا وينمّي الإيمان ، وبذلك تقوى الحوافز الإيمانية وتشتد في حياة المؤمن .

وأمّا دراسة الواقع ، فحين تقوم على الإيمان ، وتنهض من خلال منهاج الله ، فإنها تنمّي الإيمان كذلك بما يجد المؤمن من آيات وعبر ، وبما تنشر من وعي ويقظة . وبذلك كله تقوي الحوافز الإيمانية وتدفعها .

وهنالك عوامل أُخرى كثيرة في حياة الإنسان تحرّك مبادرته الذاتية وتوفّر لها الحوافز . فالحاجات الماديّة كالجوع والعطش وغيرهما ، والهوى حين يُلحّ على الإنسان ، والشهوات ، والخوف ، والرغبة والرهبة ، كل هذه العوامل وكثير غيرها توفّر الحوافز في حياة الإنسان ، حتى تبدو كأنها استجابة لفطرة وطباع . وهي في أغلب الأحيان كذلك ، ولكنها تكون عندئذٍ استجابة لفطرة سليمة أو لفطرة منحرفة .

فحين يُحرِّك الإيمانُ والتوحيدُ هذه الرغبات ، وحين يوجهها منهاجُ الله ، فإنها تنطلق من فطرة سليمة ، وسجايا كريمة . وأما إذا تفلّتت من الإيمان هاجت وماجت ، وتاهت الخطا في أمواج من الظلام .

حين يوجهها الإيمان والتوحيد ومنهاج الله فإنها تظل مرتبطة بالهدف الأسمى في الحياة ، وهو الجنّة ، لا تتفلّت منه أبداً ، وتأخذ منه ريّها وغذاءها . وأما إذا تفلّتت من الإيمان ، فإنها تأخذ قوتها واندفاعها من مصادر الفتنة ومنابع الشهوات ، ويتـولاها الشيطان عندئذ بكل كيده ومكره وفساده . فمع الإيمان والتوحيد حوافز خير وصلاح للإنسان ، ومع الشيطان حوافز فتنة وشرّ وفساد .

في واقعنا اليوم ضعفت كثير من الحوافز الإيمانية ، حتى إنـك ترى بعض المسلمـين لا يكـادون يتحـرَّكـون إلا مع مصلحتهم الـدنيوية ، بالـرغم من صلاتهم وعبـاداتهم الظاهرية . وكثيراً ما تختلط أمامك الرؤية حتى تحار في هذا السلوك وذاك ، وفي حقيقة هذه الحوافز وتلك . ولكنّ المؤمن يجد بين يديه ميزاناً عادلاً أميناً يزن به الأمور ، فلا تختلط لديه الرؤية إلا بمقدار ما كتب الله على ابن آدم من خطأ يرتكبه فيعود عنه المؤمن ، ابتلاءً منه سبحانه وتعالى لعباده ، حتى تقوم الحجَّة على كل إنسَان .

إن هذه القضيّة ، قضية الحـوافـز الإيمانيّة ، ستظل في

جذورهـا وجـوهرها قضيَّةَ الإيمان والتوحيد ، ومدى صدقه وصفـائـه ، ومـا يقـدِّمـه المنهـاج الرّباني من علم ووعي ، وما يقدّمه فهم الواقع من انتباه وإدراك . فإذا ضعفت هذه الحوافز وهبطت المبادرة الذاتيّة ، فلنبحث في أعماق نفوسنا ، وحقيقة ولائنا لله ، ووفائنا بالعهد مع الله . وإذا اختلطت الرؤية أمامنا فلننظر في إيماننا وعملنا معاً ومدى وعينا .

ومـع هذه العـوامـل الأربعـة التي ذكرناها قبل قليل ، العوامل التي تنبع منها الحوافز الإيمانية ، وتنطلق منها المبادرة الـذاتية ، فهنـالـك عوامـل أخـرى توجّـه الحوافز والمبادرة وتتحكم فيها ، حتى لا تتبدَّد ولا تتيه . ونوجز هذه العوامل بما يلي :

١- النيّة كما تحدثنا عنها في كتاب « النيّة في الإسلام وبعدها الإنساني » .
٢- معرفة المسلم لحدوده ، ولمنازل المؤمنين ، وللروابط الإيمانية .
٣- النَّهج والخُطة ، والإدارة والتنظيم .

وهذه العوامل الثلاثة نابعة من العوامل السابقة مرتبطة

بها . ولكنها تمدُّ الحوافز بالطاقة والقدرة على الانطلاق ، وتحدِّد لها الهدف وترسم لها الطريق ، وتوجهها وتتحكم فيها وتضبطها . وهذه العوامل كلها مترابطة متماسكة لا يستكمل أيُّ عامل منها أداءه ومهمّته دون سائر العوامل . ولكنّ الأداء يتكامل حين تعمل هذه كلها معاً بصورة متناسقة مترابطة . إلا الإيمان والتوحيد ، والنيّة والإخلاص ، فإن هذه هي أساس كلّ عمل ، فإذا غابت أو فسدت بطل العمل كله وفسد ، وتصبح الحوافز والمبادرة تائهة مضطربة ، ويصبح العمل تدميراً للحياة الإنسانية وإفساداً في الأرض .

وحتى ندرس حقيقة المبادرة الذاتيّة ، ومدى ارتباطها بالممارسة الإيمانية وبخصائصها الأخرى ، وحتى ندرك أهميّة المبادرة الذاتية في واقع المسلمين اليوم ، نأخذ قبسات من كتاب الله ، وقبسات من أحاديث الرسول ﷺ ، مدركين أن منهاج الله يعرض هذه القضيّة بكامل خصائصها وتفاصيلها . ولكننا هنا نأخذ قبسات لتذكّر المسلم ، فيعود إلى منهاج الله ليجد العرض الأوفى .

ومن منهاج الله نجد بصورة جليّة أهمية العوامل الأربعة

الأُولى في المبـادرة الـذاتية ، وأَهمية العـوامـل الأُخـرى في الانطلاقة والتوجيه والتحكم .

أَما **النيّة** فقد فصلنا فيها في كتاب النيّة السابق الذكر ، وبيّنـا أَهميتها في ميزان الإِسلام وخطورتها ، وتفرّد الإِسلام بهذه القاعدة الرّبانيّة العظيمة .

وأَمـا **معـرفـة المسلم لحدوده ولمنـازل المؤمنين وللروابط الإِيـمانيـة** ، فهي التي تعينه على أَن لا يقصِّر عن واجب ، ولا يتجـاوز إِلى فتنـة ، ولا يعتـدي على منـزلـة المؤمنـين ، ولا يمزّق روابط الإِيمان بمبادرات جاهلية : إِن هذه المعرفة تقوم على أساس منهاج الله ووعي الواقع من خلال النظرة الإِيمانية والصفاء في التوحيد .

وأَمـا **النهـج والتخـطيط والإِدارة والنـظام** ، فهي تمثّـل الخُـلاصـة التـطبيقية للإِيمان والعلم في حياة المؤمن الفـرد والجـماعـة والأُمَّـة . إِنَّ غياب النهـج والتخطيط ، وغياب الإِدارة والنـظام ، يجعـل الخُـطا كلَّها مضطربة متضاربة ، ويجعــل الجهــود تتصــارع ، وتتعـارض ، ومن ثَمَّ تتبـدّد وتضيع . وبذلك تصبح المبادرة الذاتيّة فاقدة لعنصر هام من

عناصر التوجيه والتحكم ، والموازنة والضبط .

وإذا راجعنا واقع المسلمين في فترات غير قليلة من التاريخ ، وفي واقعنا المعاصر ، فقد نجد مبادرات ذاتية كثيرة في حياة المسلمين ، مبادرات ذاتية منطلقة إلى عمل صالح ، ولكنها فقدت أثرها ، أو تعثّرت في مسيرتها ، أو انحرفت عن سبيلها ، أو تصادمت الجهود فتمزَّقت وتبدّدت ، وما كان ذلك إلا لأن المبادرة الذاتية لم تكن جزءاً من نهج مدروس أو خُطة واعية . ففقد المسلمون بذلك جهوداً كثيرة ، تاهت في فلاة أو بدّدتها الفيافي .

وغياب النهج والتخطيط خروج عن سنن الله في الكون ، وابتعاد عن بعض خصائص الإيمان والتوحيد ، وبعض متطلبات منهاج الله ، وبعض ما يفرضه الواقع . والنهج والتخطيط ، والإدارة والنظام تمثل كلها نظاماً ، إذا قام على أساس الإيمان ومنهاج الله ، قدَّم خيراً عظيماً في حياة البشرية ، حين يجمع جهود المؤمنين في مجرى واحد من الخير والنور .

٢- المبادرة الذاتية وقبسات من كتاب الله :

آيات كثيرة في كتاب الله تعرض لنا المبادرة الذاتية من جوانبها المختلفة وظلالها الممتدة . فمن أهم صفات المؤمنين ، كما تعرضها سورة «المؤمنون» ، هي مسارعتهم إلى العمل الصالح ، إلى الخيرات ، مسارعةً توفّر لهم السبق :

﴿ أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون . ولا نكلف نفساً إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون ﴾ . [المؤمنون : ٦١، ٦٢]

وصف دقيق جامع للحوافز الإيمانية والمبادرة الذاتية : إنها مسارعة وسبق . فالمؤمنون في ميدان سباق يتنافسون الدار الآخرة لا الدنيا ، يتنافسون العمل الصالح لا الشرَّ والفساد . إنها «الخيرات» . إنها تعبير دقيق جامع يحمل أحلى الظلال . وهذا تكليف من عند الله ، ومن هنا ، من الإيمان والتوحيد ، تنطلق الحوافز . ولكنه تكليف في حدود الوسع الحقيقيّ ، الوسع الذي وهبه الله للإنسان ، الوسع الذي سيحاسب عليه يوم القيامة ، الوسع الذي لا تخنقه الأعذار الباطلة ، والمراوغة والجدل والمراء : (لا نكلّف نفساً

إلا وسعهـا) . وكل وسع ابن آدم ، وكل عمله ، مسجل عليه عنـد الله أَدق تسجيل ، تسجيل حقٌّ أَمين : (ولدينا كتاب ينطق بالحق) . وعلى ذلك يكون الجزاء العادل الأَمين من عند الله ، جزاء لا ظلم معه أَبداً : (وهم لا يظلمون) .

وفي سورة آل عمران صورة أُخرى كذلك :

﴿ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ﴾ .

[آل عمران : ١١٤]

فارتبـطت المسـارعـة هنـا والمبـادرة بالإيمان بالله واليوم الآخـر ، وبـالأمـر بالمعروف وبالنهي عن المنكر . ارتبطت المبادرة هذا الارتباط حتى جعلت أَهلها من الصالحين .

وفي سورة الأَنبياء صورة أُخرى :

﴿ . . . . . إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً ، وكانوا لنا خاشعين ﴾ . [الأَنبياء : ٩٠]

وهنـا ترتبط المبـادرة بالـدعاء على رغبة ورهبة ، وترتبط بالخشوع بين يدي الله ، وهم يسارعون في الخيرات ، وهم

يدعون .

وفي سورة فاطر مقارنة بين نماذج من الناس ، بين من **يبادر** إلى الخيرات ويسارع إليها ، وبين من هو **ومقتصد** أو **ظالم** لنفسه ، فلنتدبّر هذه الصورة التي تأخذ بالألباب :

﴿ ثمَّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير ﴾ .　　[فاطر : ٣٢]

لقد عظمت المبادرة وجلّت المسابقة بالخيرات حتى أصبحت هي الفضل الكبير من الله سبحانه وتعالى .

وإذا كانت هذه الآيات الكريمة تعرض لنا قبسات من وصف المبادرة الذاتية من خلال البيان القرآني ، فهناك آيات أُخرى تقدِّم لنا المبادرة إلى الخير نداءً من عند الله إلى عباده المؤمنين :

﴿ ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير ﴾ .

[البقرة : ١٤٨]

« فاستبقوا الخيرات . . . » ! أمر من عند الله . فهذا هو

ميدان السباق وكذلك يتكرر الأمر والنداء :

﴿ . . . . لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ . [المائدة : ٤٨]

ويتأكد هذا النداء والأمر من الله سبحانه وتعالى في سورة بعد سورة ، حتى تبرز لنا أهمية المبادرة الذاتية ، أهمية المسارعة في الخيرات ، وأهمية السباق فيها والسبق إليها . ولنأخذ قبسات أخرى :

﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ . [آل عمران : ١٣٣]

وهنا ارتبطت المبادرة بالجنّة ، بالدار الآخرة ، بالمغفرة من الله ، ليوفّر هذا الارتباط أكرم الحوافز في فطرة الإنسان ، ليسارع بعمله إلى مغفرة من الله ، إلى الجنّة . فكل عمل ينطلق به المؤمن صادق النيّة قوي الرجاء بالله ، هو مسارعة إلى المغفرة وإلى الجنة ، تدفعه الحوافز الإيمانية الطاهرة بكل طاقاتها .

وكذلك :

﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ .

[الحديد : ٢١]

إن الإيمان بالله ورسله ، والإيمان بالجنّة ، والرغبة في المغفرة من الله ، هذه كلها هي التي توفّر الحوافز الحقيقية للإنسان المؤمن ، ليسارع ، ويسابق ، ويبادر إلى الخيرات ، إلى العمل الصالح ، إلى التكاليف الممتدّة التي يتعلمها من منهاج الله .

وإذا كان للمؤمن حوافزه الإيمانية التي تدفعه إلى المبادرة للخيرات ، للمغفرة من الله ، فإن الكافر تضطرب عنده الحوافز ، وتختلط القدرات ، بعد أن انقطعت عن الإيمان والتوحيد ، وتنطلق عندئذ في ظلمات الكفر ، وفي الإثم والعدوان . ولنتدبّر قبسات من كتاب الله تصف لنا مبادرة الكافرين والمنافقين إلى الكفر والفساد :

﴿ ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضرّوا

الله شيئاً يريد الله أن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة ولهم عذاب عظيم ﴾ . [آل عمران : ١٧٦]

وكـذلـك :

﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الـذين قالـوا آمنـا بأفـواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الـذين هادوا . . . . ﴾ . [المائدة : ٤١]

إنها مواساة للرسول ﷺ حين يشعر بالحزن على أولئك الذين ضلوا فكفروا فسارعوا في الكفر . ونرى هنا كيف أن المبـادرة تاهت ، والحـوافز اضطربت بعد أن انقطعت عن الإيمان ، وبعد أن تولاها الشيطان بإفساده ومكره .

ويبلغ اضطراب الحوافز غايته ، حتى تدخل المبادرة في تيه وظـلام ، حين يضطرب الولاء ، وتختلط الروابط ، وتُظلم الرؤية ، فيسارع هؤلاء في الولاء لأعداء الله ، وهم يظنون أن عنـدهم النصر ، فيخشـون أن تدور عليهم الـدوائر ، مرضـاً في قلوبهم وإيمانهم . فلنتـدبـر هذه الصورة القرآنية العظيمة المؤثرة :

﴿ يا أيهـا الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء

بعضهم أولياء بعض ومن يتولّهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ﴾ . [المائدة : ٥١، ٥٢]

إن المسارعة والمبادرة على هذا النحو ظلم كبير : « والله لا يهدي القوم الظالمين » . وإنها مرض في القلب حجب عنه الإيمان : « فترى الذين في قلوبهم مرض . . . » .

وهذه المبادرة التي انفصلت حوافزها عن الإيمان تصبح إثماً وفساداً وعدواناً :

﴿ وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون ﴾ . [المائدة : ٦٢]

إنها مسارعة في الإثم والعدوان وأكل المال الحرام . إنه فساد في الأرض وفتنة[1] .

---

(١) يراجع كتاب : « ملحمة فلسطين » الطبعة الثانية للمؤلف (ص : ٧٠-٨٦) من أجل شرح مفصل عن هذه الآيات الكريمة . ويراجع للسبب ذاته أيضاً كتاب : « الولاء بين منهاج الله والواقع » للمؤلف (ص : ٣٢-٥١) .

وإذا كان للمؤمنين حوافزهم الإيمانية التي تدعوهم إلى المبادرة الذاتية ، يسارعون فيها إلى الخيرات والعمل الصالح والمغفرة والجنة ، وإذا كان للكافرين حوافز انقطع عنها ريّ الإيمان ، فتولاها الشيطان وأطلقها في التيه والظلام إلى أعمال الإثم والعدوان والظلم وأكل المال الحرام ، وغير ذلك من أعمال الفساد في الأرض ، إذا كانت هذه هي الحوافز الإيمانية لدى المؤمنين ، وتلك حوافز أولئك ، فإن الذين يسارعون في الخيرات ، والذين هم لها سابقون ، لهم جزاؤهم العادل عند الله رب العالمين ، برحمة منه وفضل ليدخلهم الجنة ، وليكونوا هم المقرَّبين :

﴿ فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة . وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة . والسابقون السابقون . أولئك المقربون . في جنات النعيم ﴾ . [الواقعة : ٨-١٢]

« السابقون السابقون » ! نعم ! إنهم الذين كانوا يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون . إنهم الذين نشطت حوافزهم الإيمانية ، غنيّة قويّة بالإيمان ، فأطلقت مبادرتهم الذاتيّة في ممارسة إيمانية رائعة ، صادقة ، صافية ، حتى

كانوا عند الله من المقرَّبين .

وتمضي الآيات الكريمة تحضّ على المبادرة الذاتية الإيمانية ، وعلى السباق والجهاد والتنافس على الدار الآخرة :

﴿ يا أَيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ﴾ . [المائدة : ٣٥]

٣- المبادرة الذاتية وقبسات من الأَحاديث الشريفة :

تأتي الأَحاديث الشريفة لتحضّ على المبادرة الذاتية ، ولتنمّي الحوافز الإيمانية ، ولتربّي النفوس المؤمنة وتنهض بها إلى هذا المستوى الكريم . وسنرى في الفقرة التالية عدداً من الأَحاديث الشريفة ، ومن سيرة الصحابة مايقدِّم المثل، والنموذج لهذه التربية العظيمة ، تَتعهدها مدرسة النبوّة بين آيات كريمة وأَحاديث شريفة .

فعن أَبي هريرة رضي الله عنه أَن رسول الله ﷺ قال : « **بادروا بالأَعمال سبعاً . هل تنتظرون إلا فقراً منسياً ، أَو غنى مطغياً ، أَو مرضاً مفسداً ، أَو هرماً مفنداً ، أَو موتاً**

مجهزاً ، أو الدجّالَ فشرٌ غائبٍ ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر » [رواه الترمذي وقال حسن غريب][(1)]

« بادروا بالأعمال . . . » ! سارعوا بالعمل الصالح قبل أن يغلبكم عليه أحد هذه العوائق في الحياة الدنيا . بادروا وسابقوا وسارعوا . إنه حديث يخاطب القلب والفكر والشعور ، يخاطب كل كيان الإنسان وهو ينقله بين أحداث الحياة الدنيا نقلات فيها تأملٍ وتدبر : فقر وغنى ، ومرض وهرم وموت ، أو الدجال أو الساعة . إن هذا الحديث الجامع يدفع المؤمن ليخوض ميادين الحياة الدنيا يسابق فيها سباقاً ، وينافس فيها منافسة ، حتى يدخل الجنة ويفوز . ويحَضُّه ليخوض ميادين الإنفاق قبل أن يحجزه الفقر وينسيه ، أو قبل أن يغلبه الغنى ويطغيه ، فلا يُؤدِّي حق الله في ماله ولا حق السائل والمحروم ، ويحضُّه ليخوض ميادين السعي والجهاد في سبيل الله قبل أن يُقعِده المرض أو الهرم ، يحضُّه ليخوض ميادين التوبة والصلاح قبل فوات الفرصة وظهور الساعة ، وقبل الموت ، يحضُّه ليخوض كل ميادين

(1) سنن الترمذي . كتاب الزهد (٣٧) . باب (٣) . حديث رقم (٢٣٠٦) .

العملِ الصالح في مبادرة ذاتية ، تحمل حوافزها الإيمانية ، قبل أن يندم ولات ساعة مندم .

وعَن أَبِي هريرة رضي الله عنه أَن رسول الله ﷺ قال : « **بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم . يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً . أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا** » [رواه مسلم][1]

وفي هذا الحديث الشريف دفع إلى المبادرة بالأعمال . وواضح أن الأعمال المعنيّة هنا هي الأعمال الصالحة . « بادروا . . . » ! أي سابقوا ، أو سارعوا في جهد حق قبل أن تقع الفتن ، فتحول بين الرجل وبين العمل الصالح . والأعمال الصالحة هذه ، والمبادرة الذاتية إليها ، والمسارعة فيها ، حماية للمسلم حين تقع الفتن ، إن صدق وأخلص نيته لله . إنها حماية له من الفتن حتى لا يقع فيها في الدنيا ، وذخر له عند الله في الآخرة . إنه يستبق بها الفتن قبل أن تقع .

---

(١) صحيح مسلم. كتاب الإيمان (١) باب (٥١) . حديث (١٨٦ / ١٨) .

وتجمع الحوافز الإيمانيّة كلها في النفس المؤمنة حين يتذكر الإنسان الموت ، فيندفع للعمل الصالح ، في رغبة ورهبة . ويظل ذكر الموت ، ذكر هاذم اللذات أو هادمها ، حافزاً من الحوافز الإيمانية تدفع للمبادرة الذاتية :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « **أكثروا من ذكر هاذم (هادم) اللذات** » . **يعني الموت** .

[رواه الترمذي][(١)]

وعن أبي هريرة أيضاً قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : « **يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً ؟** » قال : « **أن تصدَّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى . ولا تُمهِلْ حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا ! وقد كان لفلان** »

[رواه البخاري ومسلم][(٢)]

نَعم ! الصدقة وأنت صحيح شحيح ! إنها تصور النفس البشرية ومعاناتها وهي تخرج الصدقة على صحة جسم وعافية

---

(١) سنن الترمذي . كتاب الزهد (٣٧) . باب (٤) . حديث (٢٣٠٧) .

(٢) صحيح البخاري . كتاب الزكاة (٢٤) . باب (١١) . حديث (١٤١٩) .
صحيح مسلم . كتاب الزكاة (١٢) . باب (٣١) . حديث (١٠٣٢) .

وشحٍّ في النفس ، وآمـال تموج في الصدر تطمع بالغنى ، فتحـرص على المبلغ القليل ، لتجمعه إلى المبلغ القليل ، حتى تجمع الغنى بآمالها وأحلامها . الصدقة التي تخرج طيبة خالصـة لوجه الله مع هذه الحالات النفسية أعظم أجراً . لأنّها مبادرة ذاتية ، والصدقة من أوضح الأمثلة على المبادرة الذاتية لأنها مبادرة ذاتية إيمانية تجتمع فيها خصائص العمل الصالح : من نية خالصة لله لا يُقبلُ العمل بدونها ، ولا ينال الإنسـان أجـراً بغـيرهـا ، ومن أنها عمل يخضع لمنهاج الله ودينه ، يحمل الهدف على درب ماضٍ إلى الجنة .

وفي جميع الحـالات يكون الرسول ﷺ هو القدوة المثلى للمؤمنـين في المبـادرة الـذاتية على مدى الدهر . وكل سيرة الرسول ﷺ مثل وقدوة ونماذج تهتدي بها البشرية كلهاوتَصوّر لنا المبادرة التي تلهث وراءها البشرية ولا تكاد تبلغها :

فعن أبي سروعـة عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال : **«صليت وراء النبيّ ﷺ بالمـدينـة العصرَ ، فسلَّم ثمَّ قام مسرعـاً ، فتخـطّى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه . ففـزع الناس من سرعته . فخرج عليهم ، فرأى أنهم قد**

عجبوا من سرعته . قال : « ذكرت شيئاً من تِبْرٍ عندنا فكرهت أن يحبسني فأمرت بقسمته » وفي رواية للبخاري أيضاً : « كنت خلّفت في البيت تِبراً من الصدقة فكرهتُ أن أُبيّته » .

[رواه البخاري][1]

شيء من تبر ، كره رسول الله ﷺ أن يبيّته عنده ، وكره أن يحبسه ، فبادر وأمر بقسمته . إنها مبادرة النبوّة التي ترعى الأمة وتبني أجيالها ، تأبى أن تؤخر مال الصدقة دون قسمته . واليوم يملك الناس الذهب أكواماً أكواماً ، والفقراء في الأرض يتضوّرون ، فلا يجد هؤلاء الأثرياء وقتاً لديهم ليفكّروا في صدقة أو زكاة أو في حاجة إنسان ، إلا من رحم ربّك من المؤمنين . أما سائر أغنياء الأرض فهمّهم كيف يجمعون ويكنزون وينهبون الأمم والشعوب ، ويتنافسون الدنيا وثرواتها، ويتقاسمون الغنائم فوق أكوام الجثث والأشلاء والجماجم من ضحايا الجريمة والفساد في الأرض . ثمَّ يتحدّثون عن حقوق الإنسان ، ومبادىء العدالة ، والاشتراكية والديمقراطية .

---

(١) صحيح البخاري . كتاب الأذان (١٠) . باب (١٥٨) . حديث (٨٥١) .

والمؤمنون أمة واحدة في الأرض من دون الناس ، يسعى بذمتهم أدناهم . وهذا ميدان واسع للمؤمنين ، يتسابق فيه المؤمنون الصادقون إلى الوفاء بذمة المؤمنين ، يبادر الصادقون إليها ، ويتسابقون من أجلها .

عن علي رضي الله عنه قال : « ماعندنا كتاب نقرأه إلا كتاب الله غيرَ هذه الصحيفة . قال : فأخرجها فإذا فيها أشياء من الجراحات وأسنان الإبل ، قال : وفيها المدينة حرم ما بين عير إلى ثور . فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يُقْبَل منه يوم القيامة صرف ولا عدل ، ومن والى قوماً بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يُقْبَل منه يوم القيامة صرفٌ ولا عدل . وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يُقْبَل منه يوم القيامة صرف ولا عدل » .

[رواه البخاري ومسلم](1)

(١) صحيح البخاري . كتاب الفرائض (٨٥) . باب (٢١) . حديث (٦٧٥٥) . وجاء في كتاب الحج وكتاب الزكاة . صحيح مسلم . كتاب الحج (١٥) . باب (٨٥) . حديث (٤٦٧/١٣٧٠) .

« ذمة المسلمين واحدة » ! ما أعظم هذا التعبير وما أجلَّه ! إنه يجمع المسلمين أمة واحدة لها مع الناس كلهم ذمة واحدة وعهد واحد ، لا يخفره أحد . « يسعى بذمتهم أدناهم » . كل فرد من المسلمين ينهض في مبادرة إيمانية يسعى بذمة المؤمنين . فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . . . !

إنها أمة واحدة تعبد ربّا واحداً ولها دين واحد ، ولها نهج واحد ، تخضع له الأمة كلها ، ليعرف كلّ فرد فيها حدوده ومسئولياته وواجباته . ومن مسئوليات كل مسلم أن تكون ذمة المؤمنين واحدة . فعندما ينطلق أي مؤمن في مبادرته الذاتية الإيمانية فهو يسير على نور وبيّنة ، وعلى محّجة بيضاء ليلها كنهارها ، هدفه أمامه جليّ ، ودربه ممدود إلى الجنة .

وفي كتاب رسول الله ﷺ ، الذي كتبه « بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم » ، في هذا الكتاب نصوص هامة نورد بعضها هنا :

١- أنهم (المؤمنون ومن تبعهم . .) أمة واحدة من دون

الناس .

٢- وأن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل[1] .

٣- وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه .

٤- وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى عليهم ، أو ابتغى دسيعة ظلم ، أو إثماً ، أو عدواناً ، أو فساداً بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم .

٥- ولا يقتل مؤمنٌ مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن .

٦- وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس .

٧- وأن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله ، إلا على سواء وعدل بينهم .

هذه بعض نصوص هذا الكتاب . وهذه النصوص تبيّن أَنَّ الأُمة المسلمة هي أُمة واحدة وصفٌّ مَرصوص ! وكذلك :

(١) مُفْرَحاً : مُثْقلاً ، المحتاج المغلوب الفقير ، والذي لا يعرف له نسب ولا ولاء ، والقتيل يوجد بين القريتين .

٨- وأنه لا يحلُّ لمؤمن أقرَّ بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً أو يؤويه ، وأن من نصره أو آواه فإنّ عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .

في هذه الأمة العظيمة تمضي المبادرة الذاتية على نهج ووعي ونور ، على تكاليف ربانيّة ، ونيّة صادقة وأهداف جلية ، لا تختلط إلا عند من اختلط إيمانه واضطرب علمه وحركه الهوى وشدَّته الفتنة .

٤- المبادرة الذاتية وقبسات من حياة الصحابة :

ليست المبادرة الذاتية وحوافزها الإيمانية موضوعاً متفلّتا منفصلاً معزولاً عن سائر قواعد منهاج الله وقواعد الإيمان . كلا ! إنها تعمل مترابطة مع كل قواعد الإيمان وقواعد منهاج الله . فإذا عرضنا قبسات من منهاج الله ، قرآناً وسنّة ، فإنما نهدف أن نقدم نموذجاً يُعين على فهم هذا الترابط والتكامل .

وتعرض أحاديثُ النبوّة المبادرة الذاتية وحوافزها الإيمانية

مع ظلالها الممتدة في ميادين الحياة التطبيقية المختلفة .

فانـظر إلى هذه المبادرة في ميدان الجهاد ، والمسارعة في الخيرات في ساحة القتال ، وانظر إلى الهدف الأسمى الذي ترتبط به وتسعى إليه ، وتسابق من أجله :

فعن جابـر بن عبـد الله رضي الله عنه قال : قال رجل للنبيّ ﷺ يوم أحد : « أرأيت إن قُتلت فأين أنا ؟! » **قال : « في الجنّة » . فألقى تمرات كنّ في يده ، ثمَّ قاتل فقتل .**
[رواه البخاري ومسلم][1]

هدفٌ جليّ هو الجنّة . فلمّا اطمأن المسلم إلى هدفه ونيّته ، وسـأل الرسول ﷺ ، فبشره بالجنة ، سارع إليها ، وألقى تمرات كنّ في يده . مبادرة هائلة في الصدق واليقين والعزيمة .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ **أخذ سيفاً يوم أحـد فقـال : « من يأخذ هذا مني ؟ » فبسطوا أيديهم كل**

(١) صحيح البخاري . كتاب المغازي (٦٤) . باب غزوة أحد (١٧) . حديث (٤٠٤٦) . صحيح مسلم . كتاب الإمارة (٣٣) . باب (٤١) . حديث (١٨٩٩/١٤٣) .

إنسان منهم يقول : أنا أنا . قال : « فمن يأخذه بحقه ؟! » فأحجم القوم . فقال أبو دجانة رضي الله عنه : « أنا آخذه بحقه » فأخذه ففلق به هام المشركين . [رواه مسلم][1]

مبادرة الصدق والوفاء ، حين عرف المسلمون حدودهم ، وحين عرف أبو دجانة طاقته وعزمه ، وعرف حق سيف رسول الله ﷺ ، وعرف هدفه ودربه ، بادر وأقبل وسارع إلى إحدى الحسنيين ، ففلق هام المشركين .

وفي ميدان آخر من ميادين الحياة :

عن جابر رضي الله عنه قال : **لدغت رجلاً منا عقرب ونحن مع النبيّ ﷺ . فقال رجل : يا رسول الله ! أرقي ؟ قال : « من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل » .**

[رواه مسلم][2]

توجيه النبوّة إلى المؤمنين على مدى الدهر ليسارعوا في

---

(١) صحيح مسلم . كتاب فضائل الصحابة . باب فضائل أبي دجانة (٢٥) . حديث (٢٤٧٠) .

(٢) صحيح مسلم . كتاب السلام (٣٩) . باب (٢١) . حديث (٦١/٢١٩٩) .

الخيرات والعمل الصالح : « من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل » . أمر بالمبادرة الذاتية الإيمانية .

وفي غزوة تبوك :

عن أبي هريرة أو أبي سعيد رضي الله عنهما (شك الأعمش) ، قال : **لما كنا في غزوة تبوك ، أصاب الناس مجاعة . قالوا : يارسول الله ! لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادَّهنا . فقال رسول الله ﷺ : « افعلوا » قال : فجاء عمر ، فقال : يارسول الله ! إن فعلتَ قلَّ الظهر . ولكن ادعهم بفضل أزوادهم . ثمّ ادع الله لهم بالبركة . لعلّ الله أن يجعل في ذلك . فقال رسول الله : « نعم » . قال : فدعا بنطع فبسطه . ثمّ دعا بفضل أزوادهم . قال : فجعل الرجل يجيء بكفِّ ذرة . قال ويجيء الآخر بكفِّ تمر . قال ويجيء الآخر بكسرة . حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير . قال فدعا رسول الله ﷺ بالبركة . ثمَّ قال : « خُذوا في أوعيتكم » . قال فأخذوا في أوعيتهم حتى ماتركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه . قال فأكلوا حتى شبعوا . وفضلت فضلة . فقال رسول الله ﷺ : « أشهد أن لا إله إلا الله وأني**

رسـول الله . لا يلقى الله بهما عبـد غير شاكٍّ فيُحْجَبُ عن الجنة » . [رواه مسلم][1]

مَثَلٌ فذٌّ للمبـادرة الـذاتية . إنها أولاً مبـادرة الجـماعـة والناس ، لا يقفون مشلولي الإرادة ، مكتوفي الأيدي ، في أزمة وموقف عصيب . إنهم بادروا بالرأي والنصيحة على قدر وسعهم واجتهادهم . وما اعترض الرسول ﷺ على رأيهم ، حتى جاءه رأي أفضـل . فكانت مبادرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تكشف عن يقينه بربّه الله الذي لا إله إلا هو ، وعن يقينه بنبوّة محمد ﷺ . فنصح بما نصح . وقبل الرسول ﷺ رأي عمر . وكانت معجزة النبوة آية من عند الله .

ولعمـر بن الخـطاب أروع النـماذج والأمثـال في المبادرة الذاتية . وقد قال عمر رضي الله عنه عن هذه المبادرات :

فعَن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال عمر : « **وافقت ربي في ثلاث في مقام إبراهيم ، وفي الحجاب ، وفي أسارى بدر »** [رواه مسلم][2]

---

(١) صحيح مسلم . كتاب الإيمان (١) . باب (١٠) . حديث (٤٥/ ٢٧) .
(٢) صحيح مسلم . كتاب (٤٤) . باب (٢) . حديث (٢٤ / ٢٣٩٩) .

قوة إيمان ، وتفاعل حقيقي مع الأَحداث ومع الدعوة ، وهداية من الله . وقد برز تفاعل عمر بن الخطاب مع الأَحداث في مواقف كثيرة فعندما توفي عبد الله بن أُبيّ بن سلول أَراد النبيّ ﷺ أَن يصلي عليه حين سأله ذلك ابن عبد الله بن أُبيّ . فاعترض عمر رضي الله عنه ، وأَخذ بثوب رسول الله ﷺ ، ثم نزل قوله تعالى : ﴿ **ولا تصلِّ على أَحد منهم مات أَبداً ولا تقم على قبره** ﴾ . **وجاءت موافقته كذلك في تحريم الخمر ، وكذلك في نساء النبيّ ﷺ حين اجتمعن عليه . فقال عمر : « عسى ربّه إن طلقكنّ أَن يبدله أَزواجاً خيراً منكن » . فنزلت الآية بذلك**[1] .

ومن شدة اهتمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتفاعله مع الدعوة وأَحداثها ، وحمله لهمومها وقضاياها ، ومن انطلاق مواهبه كلها في نصرة دين الله وإعلاء كلمته ، جعله رسول الله ﷺ من « المُحَدَّثين » :

فعَن عائِشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أَنه كان يقول :

---

(١) صحيح مسلم . كتاب (٤٤) . باب (٢) . حديث (٢٥/٢٤٠٠) . وشرحهما .

« قد كان في الأُمم قبلكم محدَّثون ، فإن يكن في أُمتي منهم أحـد ، فإن عمـر بن الخـطاب منهم » . قال ابن وهب : تفسير محدَّثون مُلهَمون . [رواه البخاري ومسلم][1]

وكـانت استجـابة الصحابة لله ولرسوله ، للوحي الذي يتنـزّل تقـدّم أجمـل النـماذج على المبـادرة الذاتية وحوافزها الإيمانية ، وعلى ارتباطها بالإيمان والنيّة والنهج الذي يرسمه الإسلام :

فعن أنس رضي الله عنـه قال : **«كان أبـو طلحة أكثر أنصار المدينة نخلاً . وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيهـا طيب . فلما نزلت : ﴿لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون﴾ قام أبو طلحة رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ! الله يقول : ﴿لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون﴾ ، وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو برَّها وذخرها عند الله ، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله . فقال رسول**

(١) صحيح البخـاري . كتـاب فضائل الصحابة (٦٢) . باب (٦) . حديث (٣٦٨٩) . وصحيح مسلم . كتاب فضائل الصحابة (٤٤) . باب (٢) . حديث (٢٣/٢٣٩٨) .

الله ﷺ : « بخ ذلك مال رابح . ذلك مال رابح . وقد سمعتُ ما قلت ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين » . قال : أفعل يا رسول الله ، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه » . [رواه البخاري ومسلم والترمذي][1]

وهكذا كانت استجابة الصحابة لله ولرسوله . كلما نزل وحي بادر المؤمنون للعمل ، لا يشغلهم قيل ولا قال ، ولا جدل ولا مراء ، ولا تأويلات وأعذار باطلة . استجابة ومبادرة على وعي وتدبّر ، ونهج واضح جليّ :

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : **« يرحم الله نساء المهاجرات الأول ، لما أنزل الله ﴿ وليضربن بخُمُرهنَّ على جيوبهنَّ ﴾ ، شققن مروطهنّ فاختمرن بها »** .
[رواه البخاري][2]

---

(١) صحيح مسلم . كتاب الزكاة (١٢) . باب (١٤) . حديث (٤٢/٩٩٨) . صحيح البخاري . كتاب التفسير (٢٥) . باب (١٤) . حديث (٤٢/٩٩٨) . صحيح البخاري . كتاب التفسير (٦٥) . باب (٥) . حديث (٤٥٥٤) . سنن الترمذي . كتاب التفسير (٤٨) . باب (٤) . حديث (٢٩٩٧) .

(٢) صحيح البخاري . كتاب التفسير (٦٥) . باب (١٢) . حديث (٤٧٨٥) .

وهكـذا بادرت النسـاء واستجبن لأمر الله ، ما شغلهن جدل ولا تأويل ولا تلمس أعذار .

وفي غزوة بدر قال الحُبـاب بن المنـذر بن الجَمـوح : « يا رسول الله ! أرأيت هذا المنزل ، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنـا أن نتقـدمـه ولا نتـأخـر عنـه ، أم هو الـرأي والحـرب والمكيدة ؟ » قال : « **بل هو الـرأي والحـرب والمكيـدة** » . فقـال : « يا رسـول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالنـاس حتى نأتي أدنى ماء من القـوم ، فننزله ، ثمَّ نغوِّر ما وراء القُلُب ، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماءً ، ثمَّ نقاتل القـوم ، فنشرب ولا يشربـون » . فقـال : « **لقـد أشرتَ بالرأي** » . فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس ، وفعل ذلك[1] .

لقد ضرب الحُبابُ بن المنذر رضي الله عنه المثل الرائع للمؤمن الـذي يعيش مع دينه ودعوته ، يعيش قلبه وفكره وأعصـابـه ، حتى تفـاعـل مع الأحداث ، فهداه الله إلى

(١) سيرة ابن هشام . ج ١ . (ص : ٦٢٠) . ط : ٢ ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م ، مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر .

المشورة والرأي . فبادر بالنصيحة الواعية ، يجمع فيها إيمانه وصدقه ، وعلمه وخبرته ، وعزيمته وتصميمه .

وفي حياة الصحـابة رضوان الله عليهم أمثلة رائعة على عبقرية المبادرة الذاتية ، سجّلت أحداثاً عظيمة في التاريخ الإسـلامي . وهي نماذج ممتـدة لا يكـاد يخلو منها عصر ، ولا نستطيع حصرها في كتاب أو مقال . ولكنها على امتدادها تدلّ على أن المبـادرة الـذاتية من خصائص الإيمان ، ومن خصائص الممارسة الإيمانية .

ففي غزوة مؤتة، تحركت الجماعة كلها ، بعد أن قُتل القادة الثلاثة الذين عيَّنهم رسول الله ﷺ : زيد بن حارثة ، وجعفر ابن أبي طالب ، وعبـد الله بن رواحـة ، تحرّكت الجماعة وبادرت إلى اختيار قائد جديد لها هو خالد بن الوليد . ففتح الله عليه ، وبادر إلى خُطة عبقريّة بانسحاب الجيش انسحاباً عده رسول الله ﷺ فتحاً .

ومبـادرة عمـر بن الخطاب رضي الله عنه في الحديبية ، «حين دعاه رسول الله ﷺ ليبعثه إلى مكة ، فقال : يا رسول الله ! إني أخاف قريشاً على نفسي . وليس لي بمكة من بني

عدي بن كعب أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ، ولكن أدلك على رجل أعزّ بها مني ، عثمان بن عفان » .

ومبادرة أبي أيوب خالد بن زيد ، حين قام متوشحاً سيفه يحرس رسول الله ﷺ ، ويطوف بالقُبَّة التي كان فيها رسول الله ﷺ لما أعرس بصفية . حتى أصبح الرسول ﷺ ورأى مكانه ، قال : « **مالك يا أبا أيوب** » ؟! قال : « يا رسول الله ! خفت عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر ، فخفتها عليك » . فسُرَّ رسول الله ﷺ .

نماذج رائعة من المبادرة الذاتية في مختلف الميادين ، ينهض بها الفرد المسلم والجماعة والأُمة .

ويجب أن نؤكد ونعيد أن المبادرة الذاتية لا تعني عملاً متفلّتا ، يدفعه الهوى ، وينحرف عن النهج ، ويثير الفتنة والأذى . إنه عمل يخرج من نيّة خالصة لله ، متوجهة إلى الله ، ترجو الدار الآخرة لا الدنيا . وإنه عمل يخرج من نيّة واعية مدركة لدربها وهدفها ، يرسم ذلك كله علم صادق

بمنهاج الله . وإنه عملٍ يخرج من قلب واع لواقعه ، قلب متفاعل مع الدعوة والأحداث ، فيُحرِّك فكره وعاطفته ، وعلمه وتجربته ، وإيمانه وموهبته ، ليبادر إلى العمل الصالح ! إنه عمل منهجي يخضع للنهج ويتجه إلى الهدف .

﴿ يا أَيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أَضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون . واتقوا النار التي أُعدت للكافرين . وأَطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون . وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السرّاء والضرّاء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحبُّ المحسنين . ﴾ .

[آل عمران : ١٣٠ - ١٣٤]

وإنه عمل يمضي على النهج المحدَّد ذاته لا يخرج عنه ولا يتفلّت منه . وإنما يزيد المؤمن التزاماً بنهجه ، وصدقاً على دربه ، واندفاعاً لأهدافه ، وبذلاً على وعي وجلاء ووضوح .

إن الدعوة الإسلامية ترسم نهجاً قائماً على منهاج الله ويلبّي حاجات الواقع ، ليفتح الدرب للمؤمنين وللمبادرات

الـذاتيّة الصـادقـة على النهج ، لتعين على بلوغ الهدف ، والمضيّ على النهـج كله من هدف إلى هدف إلى الهـدف الأسمى - الجنَّة .

فالآيات السابقة تحدِّد أعمالاً ومسئوليات يجب أن ينطلق إليها المؤمن : « لا تأكلوا الربا ، واتقوا الله ، واتقوا النار ، وأطيعوا الله ورسوله ، وسارعوا إلى مغفرة من ربكم . . . ، الذين ينفقون . . . ، والكاظمين الغيظ . . . ، والعـافين عن الناس . . . . » . إنها مسئوليات تحتاج إلى حوافز إيمانية وإلى مبـادرات ذاتية . ولكن هذه الحوافز الإيمانية يجب أن تنـطلق من الإيمان والتقـوى ، كما توضـح لنا هذه الآيات الكـريمـة التي عرضنـاهـا : « واتقوا الله . . . » ، « واتقوا النار . . . » ، وعلى أساس من العلم بمنهاج الله : « واتقوا الله ويعلمكم الله . . . » ، وكذلك على أساس من الممارسة في الـواقـع البشري وفهمـه والصبر فيه : « ينفقون في السرّاء والضراء . . . » ، « والكـاظمين الغيظ » ، و « العافين عن الناس » ، « والله يحب المحسنين » .

إنها جمعت بذلك الأسس الأربعة التي تقوم عليها النظرية

العامة للدعوة الإسلامية : الإيمان والتوحيد ، منهاج الله ، الواقع ، الممارسة الإيمانية ، لترتبط بها الحوافز ولتنطلق منها وتمضي معها .

إنها كذلك تقرِّر أُسس النهج والتخطيط ، لتكون المبادرة الذاتية خاضعة لهذا النهج ماضية معه لا تتفلَّت منه . فهي تقرِّر النية والتقوى التي هي الأساس الأول للتخطيط ، ثم تحدّد الهدف وهو الأساس الثاني لكل نهج إيمانيّ وتخطيط : « واتقوا النار . . . ، وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة . . . » ، ثم تضع بعض معالم الدرب بما يناسب القضية التي تعرضها : « لا تأكلوا الربا . . . ، الذين ينفقون . . . » ، ثم تبيّن بعض الوسائل المناسبة لهذا الأمر : « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس . . . » إنها نيّة وهدف ودرب ووسائل وأساليب . فهي أسس النهج والتخطيط كله .

إن طاعة الله ورسوله لا تتمُّ إلا إذا كان هنالك علم صادق بمنهاج الله . فمنهاج الله هو الذي يحدِّد التكاليف الرّبانيّة للمسلم تحديداً واضحاً ميسّراً للذكر والتدبّر . والعلم

الصادق ينهض على أساس الإيمان الصافي . والإيمان يطلق الحوافز الإيمانية ويغذّيها ، والعلم يقوّيها وينميها ويوجهها إلى هدفها الحق ودربها المستقيم .

٥- المبادرة الذاتية والدعوة الإسلامية :

إن المبادرة الذاتية التي تنطلق من حوافزها الإيمانية تدفع المؤمن إلى ميادين متعددة في الحياة : يسارعون في الخيرات . . . ، سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة . . . ، وابتغوا إليه الوسيلة . . . ، وجاهدوا في سبيله . . . ، يؤمنون بالله واليوم الآخر . . . ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . . . ، بادروا بالأعمال . . . ، الصدقة . . . ، السعي بذمة المؤمنين . . . ، لا يتركون مُفْرَحًا بينهم . . . ، أيديهم على كل من بغى عليهم . . . ، لا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر . . . ، وأن سلم المؤمنين واحدة . . . ، أن لا ينصر محدثاً أو يؤويه . . . ، فألقى تمرات كن في يده ثمّ قاتل فقتل . . . ، فأخذه ففلق به هام المشركين . . . ، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل . . . ، النصيحة . . . ، الرأي . . . ، تنفيذ أحكام الله والانقياد

لشرعه . . . ، إلى غير ذلك من القضايا والنماذج التي عرضناها من خلال الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة .

ولكن هذه المبادرة الذاتية على النحو الذي عرضناه تمتد في منهاج الله امتداداً واسعاً لم نعرض نحن منه إلا قبسات . وتتجمع الحوافز الإيمانية كلها لتدفع المبادرة الذاتية في أجمل انطلاقتها وأعظم أهدافها وأكرم سُبُلها ! تدفعها إلى ميدان الدعوة الإسلامية ، وتبليغ رسالة الله ودينه ، والدعوة إلى الله ورسوله ، والدعوة إلى الإيمان والتوحيد ، إلى الرسالة الخاتمة ، ليحتلَّ هذا العمل الواعي أعلى درجات اليقظة وأشد الحوافز الإيمانية تجمعاً وانطلاقاً . وليصبح هذا العمل أهم أعمال الإنسان في حياته الدنيا ، تدفعه الحوافز الإيمانية ، وينطلق به النهج الواعي المدروس ، ويتجه إلى الأهداف الثابتة لتنقله إلى الهدف الأسمى - الجنّة .

إنه أكرم عمل وأطيب مسعى ، ينطلق من الإيمان والتوحيد مع كل حوافزه الصادقة ، وينطلق مع العلم بمنهاج الله والعلم بالواقع وبالنهج والتخطيط . وترسمه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وتفصّل فيه وتحدّد نهجه

وخصائصه وأدواته وأساليبه .

إنـه جوهـر الأمـانة التي يحملها الإنسان في هذه الحياة الدنيا ، وجوهر الممارسة الإيمانية .

والآيات الكـريمة والأحاديث الشريفة التي تدور حول هذا العمل العظيم أكثر من أن يجمعها حديثنا هنا ، ولكن يجمعها كتاب الله ، القرآن المبين ، وسنة محمد الأمين ﷺ . إلا أننا نورد قبسات تذكر وتعين :

﴿ يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ﴾ .

[آل عمران : ١١٤]

إنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . إنه جوهر المسارعة في الخيرات ، وإنه جوهر عمل الصالحين ، ينبع كله ويرتبط بالإيمان : « يؤمنون بالله واليوم الآخر . . . » .

وكذلك في الحديث الشريف الذي سبق عرضه عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ، وفيه : « . . . **وذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم** . . . » . وأهم معاني الوفاء بذمة

المسلمين وعهدهم مع الله والناس هو أداء الأمانة وتبليغ الرسالة والدعوة إلى الله ورسوله .

وكذلك :

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ .

[آل عمران : ١٠٤]

وتتوالى الآيات الكريمة :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . . . ﴾ [آل عمران : ١١٠]

﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها . . . ﴾ .

[الكهف : ٢٩]

﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم . . . ﴾ [الشورى : ١٥]

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . . . ﴾ [التوبة : ٧١]

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **والذي نفسي بيده لتأمرُن بالمعروف ولتنهوُنّ عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثمّ تدعونه فلا يستجاب لكم** » . [رواه الترمذي وقال حسن صحيح][1]

وآيات كريمة أخرى وأحاديث شريفة أخرى ، مع كل آية وحديث درس جديد وظل جديد . ومن خلال هذا كله تجتمع الحوافز الإيمانية لتدفع المؤمن إلى المبادرة الذاتية وهو يتلقى الأمر من عند الله ، تدفعه إلى هذه المهمة العظيمة في حياة الإنسان ، بل إلى أعظم مهمة أبداً ، وإلى تلبية أعظم حاجة للبشرية ، للناس جميعاً ، للإنسان على مر العصور وكرّ الدهور .

بهذه الحوافز الإيمانية تنطلق المبادرة الذاتية بالمؤمن إلى هذه المهمة العظيمة ، ليشقَّ لها الدرب من خلال واقعه مهما تزاحمت عليه الأعمال والمشكلات والقضايا ، لا ليلتمس الأعذار فيتوانى أو ينطلق في سبل الدنيا يجمع حطامها وعَرَضها الزائل على حساب هذه المَهَمّة العظيمة والأمانة

(١) الترمذي . كتاب الفتن (٣٤) . باب (٩) . حديث (٢١٦٨) .

الكبيرة والمسئولية الحقيقية . ويلح القرآن الكريم على أهمية هذه المسئولية ليوفيها المؤمن قدر وسعه الصادق من خلال واقعه ، وليدفع الوهم والفتنة عنه :

﴿ ياأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوّاً لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم . إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم . فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون . إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم . عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ﴾ .

[التغابن : ١٤-١٨](١)

وكذلك :

﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدوِّ والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن

(١) يراجع شرح هذه الآيات ومقارنتها مع الآيات في سورة آل عمران التي فيها : ﴿ واتقوا الله حق تقاته . . . ﴾ ، في مقالة للمؤلف في مجلة الخيرية العدد (١٥) . السنة الثانية . التاريخ ذو القعدة ١٤١٠هـ ؛ يوليو ١٩٩٠م .

ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ .

[النور : ٣٦-٣٨]

وكذلك :

﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكـر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون . وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخّرتني إلى أجل قريب فأصّدَق وأكن من الصالحين . ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون ﴾ .

[المنافقون : ٩-١١]

وترتبط الدعوة هنا بالإنفاق وأهميته . وكيف تقوم دعوة الله في الأرض إذا لم يبـذل المؤمنون جهدهم ووقتهم ومالهم ؟! كيف تقوم الدعوة إلى الله ورسوله إذا قعد المسلمون على أعذار يتلمسـونها : حينـاً من ركض وراء مصـالح الدنيا الزائلة ، وحينا من سعي للشهادة العلمية أو سعي للمنصب ، وحيناً جرياً وراء اللهو والمتعة الرخيصة . ولا بأس بكل سعي جاد

للعلم ولكل ما أحل الله حين لا يعطل هذا السعي حاجة الدعوة ولا يمنع عنها جهداً ولا مالاً ولا وقتاً ، ولكن يمضي ذلـك كله على موازنة صادقة عادلة تظل الدعوة تحتل فيها القمة والدرجة العليا ، وترتبط بها سائر أبواب السعي . بغير هذا التصـور والجهـد والبذل لا يكون المسلم داعية أبداً ، ولكنه يقف مع ملايين المسلمين من أبناء اليوم لينتسبوا إلى الإسلام « بالهوية » واللقب ، أكثر مما ينتسبون إليه بالمسئولية الجادة والأمانة الصادقة .

وربما رأيت الرجل يدّعى أن الضعف والمرض أقعده عن بذل الجهد في سبيل الله ، ويتلمس الأعذار من هنا وهناك ليجد له حجّة يتستّر وراءها . حتى إذا دعته الدنيا إلى مال مقبـل أو منصب مغـر اختفى المرض فجأة وانطلق يسعى ويبذل . وربّما ادعى أنّ بيته يحتاج إليه ، وأن أولاده مسئولية كذلك عليه . ومن ينكر هذا ؟! ولكن الذي ننكره أن يصبح البيت والـزوجة والأولاد حاجزاً عن أداء حق الدعوة وبذل الجهد . وإلى هذا تشير الآيات الكريمة من سورة التغابن .

هؤلاء أصحاب الأعذار التي يتعلّلون بها حسابهم عند الله .

فهو أعلم بوسعهم الذي أعطاهم إياه ، وهو أعلم بحقيقة أعذارهم . فمن ضلّلته أعذاره منهم فقد ضعفت فيه الحوافز الإيمانية ووهنت ، وضعفت المبادرة الذاتية وربما اختفت .

حال مؤلمة في واقع المسلمين اليوم تدعو إلى التفكر والتدبر لمعالجتها ، وعسى الله أن يهدي القلوب برحمته وعفوه .

الفصل الثاني

معرفة المسلم لحدوده والتزامها

الفصل الثاني
معرفة المسلم لحدوده والتزامها

١- تمهـــيد :

لقد سبق عرض هذا الموضوع في عدد من كتب الدعوة الإسلامية ولقاء المؤمنين[1] . ولأهمية هذا الموضوع وخطورة أثره في واقع المسلمين ، نشعر بضرورة عرضه هنا والتأكيد عليه .

ولعل من المناسب أن نشير أولاً إلى أهم المزالق والأخطاء عند ممارسة هذه القاعدة الإيمانية ، وأهم المزالق والأخطار عند التفلت منها . ولكن ممارستها سهلة بينة في معظم أحوال المسلم ، إلا حين يسود الجهل ويغلب الهوى .

(١) دور المنهاج الرباني . الباب الخامس . الفصل الثالث . فقرة (ط- د) . (ص : ٢٠١) . لقاء المؤمنين الجزء الثاني . الباب الثالث . (ص : ١٠٩) . الشورى وممارستها الإيمانية . الباب الثالث . الفصل الأول . (ص : ١٣٦) . منهج المؤمن بين العلم والتطبيق . الباب الثالث . الفصل الأول . (ص : ١٤٧) .

إن من أهم الأخطاء والأخطار هو أن يتقاعس المسلم عن واجب من واجباته ، ومسئولية من مسئولياته ، بحجة التزامه لحدوده ، وبحجة فهمه الخاطىء لحديث رسول الله ﷺ :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« **من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه** » .

[رواه الترمذي ومالك][1]

فقد يسارع بعض المسلمين بدافع الجهل أو الهوى ، إلى ترك بعض مسئولياتهم بحجة أن هذا الأمر أو ذاك لا يعنيه . ناسياً أن ما يعنيه وما لا يعنيه لا يحدده هواه ، ولكن يُحدِّده منهاج الله - قرآناً وسنة -كما جاءا باللغة العربية .

وقد يقع المسلم في خطأ آخر حين يتفلّت من تطبيق هذه القاعدة الإيمانية ، ويندفع بهواه وكبره وغروره ، إلى ما لا طاقة له به ، أو إلى ما لا علم له به ، أو إلى فتنة تضيق أو تتسع .

(١) سنن الترمذي . كتاب الزهد (٢٧) . باب (١١) . حديث (٢٣١٧) . موطأ مالك . حديث رقم (١٦٢٩) .

هذه الأخطاء والأخطار ، قد تبدو بسيطة للوهلة الأولى ، ولكنها حين تمتدّ وتتوالى قد تصبح مُدَمِّرة في حياة الدعوة ، أو حياة الفرد ذاته ، أو حياة الأمة كلها .

وحين لا يلتزم المسلم حدوده ، لجهله بها أو لهواه ، فإنه في جميع الحالات يتحمل القسط الكبير من المسئولية بين يدي العزيز الجبار يوم الحساب ، لا تنفعه أعذار يتلقّفها من هنا أو هناك . فهو يتحمل مسئولية رفع الجهل والتعلّم ، وهو يتحمل مسئولية لجم هواه والاستقامة على أمر الله .

وفي الوقت نفسه فإن المسلم قد يشاركه غيره في المسئولية ، كالوالدين ، والدعاة ، والمعاهد ، والعلماء ، وأولي الأمر ، وغيرهم ، دون أن تُسقِط هذه المشاركة مسئوليته . ويتحمل الآخرون كالدعاة والمعاهد والوالدين وغيرهم مسئولية التعليم والتدريب ، والنصح والتوجيه ، والإشراف والمراقبة ، وكل حسب مكانه ودوره وأمانته . وهم كلهم محاسبون بين يدي الله حساباً لا يغني فيه أحد عن أحد شيئاً !

« **من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه** » ! هكذا ينصّ حديث رسول الله ﷺ . نعم ! «من حُسن إسلام المرء» ! ومن

حسن إسلامه حسن إيمانه وتوحيده ، وحسن علمه بمنهاج الله - قرآناً وسنة ولغة عربية - ، وحسن فهمه لواقعه حتى يحسن التصرف ، كذلك حسن ممارسته لمنهاج الله . فهذا كله هو من حسن إسلام المرء أيضاً !

فليس « حسن الإسلام » كلمة نمرُّ عنها مسرعين ، لنقف عند « ما لا يعنيه » ، فنزى كلَّ ما يصدُّنا الشيطانُ والهوى عنه هو مما لا يعنينا . كلا ! لا بدّ من أن نقف عند هذا التعبير النبويّ العظيم لنتدبّره ونعي امتداده وظلاله . فالإيمان والتوحيد ، والعلم بمنهاج الله ، والعلم بالواقع ، وممارسة منهاج الله في الواقع لا ممارسة الهوى ، هذه كلها عوامل ضرورية لمعرفة المسلم لحدوده . هذه كلها معاً في آن واحد ، ضرورية ليعرف المسلم ما يعنيه وما لا يعنيه . فالإيمان والتوحيد نور ممتد حتى نُبصِرَ به دربنا ، ولجام نكبح به هوانا ، وطاقة تمدّنا بالعزيمة والقوة ، وباب عظيم لفهم منهاج الله وتدبّره . هذه كلها هي « من حسن إسلام المرء » .

ومنهاج الله هو العلم الأول والميزان الحق . هو الذي يحدِّد للمسلم تكاليفه الشرعية ومسئولياته في ميادينها المختلفة ،

وعـلاقـاتهـا كلها مع الناس وما ينشأ عنها من مسئوليات . ومنهاج الله هو الذي يذكره بعهده مع الله ، وبما ينشأ عنه من عهود في حياته الدنيا : وهو الذي يذكره بولائه الأول لله ، وحبّه الأكبر لله ولرسوله ، ولما ينشأ عن ذلك من موالاة في الدنيا أو حب ووداد . ومنهاج الله هو الشفاء لما في الصدور ، ينمي الإيمان ويرعاه ، ويمدّه بالغذاء والحماية والرعاية .

أما فهم الواقع فهو ضروري كذلك . ففي الواقع تمارس التكـاليف وتعـرف الحدود ، وتنشأ العلاقات . وفي الواقع تدور الممارسة الإيمانية كلها ، لا في الوهم والخيال .

ومن هذا الإيمان والتوحيد ، والعلم بمنهاج الله والعلم بالواقع ، من هذا كله تنشأ الممارسة الإيمانية والعمل الصالح .

ومن هذا كله نتعلم أن حديث رسـول الله ﷺ الـذي عرضناه قبل قليل ، هو حديث مرتبط بمنهاج الله ، لا يحقّ لنا أن نأخذه معزولاً عن منهاج الله . فهو متناسق مترابط مع الآيات البيّنات والأحاديث الشريفة ، ليُحدِّد منهاجُ الله كلّه معنى « من حسن إسلام المرء » ، وليحدِّد أيضاً « ما لا يعني

المسلم وما يعنيه » ، وليرسم الحدود والمنازل ، وليجعل علمنا بحدودنا ومنازلنا يقيناً نبني عليه ممارستنا ، لا ظنًّا أو وهماً ، وليجعل علمنا ومعرفتنا معرفة إيمان ويقين ، ووعي وتصديق .

٢- القواعد الرئيسة التي تقوم عليها معرفة المسلم لحدوده :

نورد أدناه أهم القواعد التي تعين المسلم على معرفة حدوده وتعينه على صدق التزامها . وكلّ قاعدة من هذه القواعد نالت دراسة مفصّلة في كتب الدعوة . ولكننا هنا نورد هذه القواعد بإيجاز للتذكير والتأكيد .

أ- الإيمان والتقوى ومحاسبة النفس :

وحتى نرى ارتباط الحديث الشريف السابق مع منهاج الله ، نأخذ قبسات تعيننا على هذا التصوّر . وكلما زادت مصاحبتنا لمنهاج الله ، نما يقيننا وإيماننا بهذا الارتباط . ففي قوله سبحانه وتعالى :

﴿ يا أَيّها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدّمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون . ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أَنفسهم أُولئك هم الفاسقون ﴾ .

[الحشر : ١٨ ، ١٩]

« ولتنظر نفسٌ ما قدّمت » ! إنها نظرة تقوم على التقوى ، ليحاسب الإنسان نفسه ، ولتستقرَّ أَول قاعدة من قواعد معرفة الحدود . فيحاسب المسلم نفسه قبل أَن يحاسب غيره ، وينصح نفسه قبل أَن ينصح غيره ، ثمّ تتوالى بعد ذلك مسئولياته في المحاسبة والنصح حسب مكانه ودوره وطاقته وأَمانته .

إنها محاسبة تقوم على التقوى : **﴿ يا أَيها الذين آمنوا اتقوا الله . . . ﴾** . وتقوم على الوعيِ والإِدراك بأَن الله رقيب على عمل كل إنسان ، خبير به **﴿ إِنَّ الله خبير بما تعملون ﴾** .

وهي نظرة ومحاسبة للنفس تقوم على الإيمان واليقين وعلى ذكر الله سبحانه وتعالى : **﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم . . . ﴾** . فمن نسي الله ، نسي نفسه ومحاسبتها ، ونسِي حدوده ومنزلته .

ب – دراسة منهاج الله وتدبّره تدبُّر إيمان ويقين :

﴿ أفلا يتدبّرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً . وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً ﴾ . [النساء : ٨٢ ، ٨٣]

إنه الربط المتين بين تدبّر منهاج الله وبين معرفة المسلم لحدوده ومسئولياته . إنه موقف خاص حين يأتيه « أمر من الأمن أو الخوف » . فمن اختلطت عليه الحدود واضطرب إيمانه وضعف علمه ، يدفعه الخوف ، لا إلى الحذر والوعي ومعرفة الحدود ، أو يدفعه الأمن لا إلى الرويّة والتثبّت ، ولكن يدفعه هذا وذاك إلى أن يُذيع الأمر دون رويّة ودون حذر ، ودون معرفة حدوده ومنزلته ، وحدود غيره ومنزلته . أما المؤمن الواعي فإنه يردّ الأمر فوراً إلى رسول الله ﷺ ، وإلى أولي الأمر . يردُّه ليتَثَبَّت ويستوضح قبل أن يذيع ما جاءه من أمر قد لا يجاوز الإشاعة . ويردّه كذلك للرسول ولأولي الأمر حتى يُظهر الذين يقدرون على حسن الاستنباط

الحقيقية لما لهم من علم وخبرة ومسئولية . ومن لا يفعل ذلك ، ولا يردّ الأمر للرسول ولأولي الأمر يكون قد عمل عمل المنافقين .

فقد نزلت الآيتان فيهم ، حين كانوا يُصغّرون أمر النصر والفتح ، ويعظمون أمر المصيبة ، ولا يردُّون ذلك إلى ميزان أمين ، وعلم صادق ، ولكن إلى إشاعة وأقاويل .

﴿ **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف** ﴾ . فهو ليس كل أمر . وإنّما هو أمر يمس الأمة كلها ، يمس إيمانها ودينها ، يمسُّ دنياها وآخرتها . إنه أمر عام وليس بأمر خاص . إنه أمر عَظُم وامتدَّ حتى أصبح مصدر أمن أو مصدر خوف .

﴿ **ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم . . .** ﴾ . إلى الرسول ، إلى منهاج الله الذي يبلغهم إياه الرسول ، إلى أولي الأمر العالمين بمنهاج الله ، المتّبعين كتاب الله وسنّة رسوله ، الخاضعين لمنهاجه في كل أمور حياتهم ، الذين عرفهم الناس في صدق إيمانهم وصدق عملهم وصدق ممارستهم ، الذين خبرهم الناس في موقف بعد موقف يبرز عزيمة الإيمان وصدق النهج والاستقامة عليه .

إن هذا كله مرتبط بالقاعدة الكبيرة : ﴿ **أفلا يتدبّرون القرآن . . .** ﴾ ! ذلك أن تدبُّر القرآن هو الذي ينير الدرب والموقف للمؤمن . وحين نقول القرآن الكريم فإننا نعني في الوقت نفسه سنّة رسول الله ، فالقرآن والسنّة مرتبطان معاً ، لا ينفصلان أبداً .

هذه هي القاعدة الكبيرة لمعرفة المسلم لحدوده ، بعد قاعدة الإيمان والتوحيد ومحاسبة النفس . وأنَّى للمسلم أن يعرف حدوده إذا اتبع هواه وغلبه الجهل بمنهاج الله .

جـ- امتداد المسئولية وتنظيمها في حياة الأمة :[1]

فلا يوجد في دين الله من لا يحمل مسئولية إلا من سقط عنه التكليف شرعاً . فكل الناس يُحَاسبون يوم القيامة لا يُغني مولى عن مولى شيئاً . وسيأتي الناس فُرادى ، كل إنسان يُحاسب وحده . وسيكون القرآن والسنة هما أساس الحساب :

(١) نشير إلى الأمانة التي حملها الإنسان وفصّلها منهاج الله ، والعهد الذي أخذه الله من بني آدم وفصّله كذلك منهاج الله ، وما عرضناه من هذا كله في كتاب : « العهد والبيعة في واقعنا المعاصر » ، وفي كتب أخرى للمؤلف .

﴿ فذكّرْ بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ . [ق : ٤٥]

إنـه الحساب يوم القيامة ، وإنها المسئولية والأمانة والعهد . إنها مسئولية ممتدَّة في حياة الإنسان ، ممتدّة في الناس جميعاً ، ممتدّة في الأمة كلِّها فرداً فرداً . ومع هذا الامتداد فإنها منظمة أدقّ تنظيم ، محدَّدة أدق تحديد ، يُنظِّم ذلك كله منهاج الله . فلا تضطرب المسئولية إلا بالجهل والهوى أو بكليهما .

ونأخذ قبسات من أحاديث رسول الله ﷺ ، لتزيد الصورة وضوحاً ، ولتبينّ لنا قوة ارتباط حديثنا السابق بمنهاج الله .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « **ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . فالإمام الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** » . [رواه الشيخان والترمذي][(١)]

(١) صحيح البخاري . كتاب الأحكام (٩٣) . باب (١) . حديث رقم =

وهذا الحديث الشريف يُبيّن لنا حدودَ فئة من الناس ، ويُبيِّنُ مسئوليتهم ، ليكون هذا التحديد مثلاً يضرب به الحديث الشريف ليُبيِّنَ القاعدة العظيمة في الإسلام : « أَلا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » . ويبتدىء الحديث بهذه القاعدة ، وينتهي بإعادة هذه القاعدة ، فلكل مسلم حدود ومسئولية يُحاسَب عليها يوم القيامة بين يدي العزيز الجبار . وفي الحياة الدنيا حساب كذلك يجري به قدر الله وسننه ، وقد يقوم به سلطان ! ويمضي منهاج الله - قرآنا وسنّة - كما جاء باللغة العربية ، يفصّل في هذه الحدود ، حدود الإمام والسلطان ، وحدود المرأة والأولاد والزوج ، وحدود العبد ، وحدود كل مسلم كذلك : تاجراً وموظفاً وعاملاً . . . !

وحديث آخر :

عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« لا تكونوا إمّعة تقولون إن أَحسن الناس أَحسنّا وإن ظلموا**

= (٧١٣٨) . صحيح مسلم . كتاب الإمارة (٣٣) . حديث (٢٠/١٨٢٩) . سنن الترمذي . كتاب الجهاد (٢٤) . باب (٢٧) . حديث (١٧٠٥) .

ظلمنا . ولكن وطِّنوا أَنفسكم إِن أَحسن الناس أَن تُحسنوا وإِن أَساءوا فلا تظلموا » . [رواه الترمذيُّ وقال حسن غريب][1]

« لا تكونوا إِمعة . . . ! » والإمعة هو الرجل الذي لا رأي له ، يتبع الناس على الحالة التي هم عليها . ولكن الله سبحانه وتعالى يريد من عبده المؤمن غير ذلك . يريد منه أن يكون منهاج الله هو ميزانه ليحدِّد بموجبه رأيه وموقفه ، وليعرف به حدوده . فلا يدع ذلك للأهواء ولا للناس .

« ولكن وطِّنوا أَنفسكم . . . » تعبير مليء بالمعاني ممتدُّ الظلال ، حتى يدرك كل مسلم مسئوليته الجادة ، وحدوده الصادقة عن يقين لا عن ظنّ ، وعن جهد لا عن تراخٍ . وتظل المسئولية والحدود تهدف إلى الإحسان ؛ « . . . أن تُحسنوا . . . » ، لا إلى الظلم : « . . . فلا تظلموا . . . » . ويستعين المسلم بالعالم والمعهد ، والدراسات والأَبحاث ، والسعي والجدّ ، حتى يحدِّد ذلك كله على أَساس منهاج الله .

---

(١) سنن الترمذي . كتاب البر والصلة (٢٨) . باب ما جاء في الإحسان والعفو (٦٣) . حديث رقم (٢٠٠٧) .

د - دراسة الواقع وفهمه من خلال منهاج الله :[1]

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم** » .

[رواه أحمد والترمذي وابن ماجة][2]

ومخالطة الناس باب من أبواب العلم والمعرفة ، يحتاج إلى صبر وجهد . وهي معرفة تعين المسلم على حسن ممارسته لمنهاج الله في واقعه ، وتعينه بذلك على معرفة مسئولياته وحدوده ، من خلال منهاج الله ، ومن خلال معاناة التجربة والجهد .

والحديثان الأخيران ينفيان عن الحديث الأول ، حديث « **من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه** » ، ينفيان عنه هوى التراخي ووهم اللامبالاة ، وينفيان نزعة الفرار من المسئولية

---

(١) يُرَاجع كتاب : دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية ، وكتاب منهج المؤمن بين العلم والتطبيق وكتب الدعوة الأخرى حيث تعرض نظرية الواقع بشمولها وتكاملها .

(٢) سنن ابن ماجة . أبواب الفتن (٣١) . باب الصبر على البلاء (٢٣) . حديث (٤٠٨١) .

وشهوة الخمول ، والنكوص عن حدود الواجب .

وهكذا نجد أن الآيات والأحاديث كلها تتناسق وتترابط في منهاج الله ، لترسم للمسلم حدوده في واقعه وحياته ، ولتبيّن له مسئولياته .

ودراسة الواقع وفهمه تمثل أساساً هامّاً من أسس نظرية الدعوة الإسلامية الأربعة ، كما فصلناها في كتب الدعوة : دور المنهاج الربّاني ، لقاء المؤمنين ، الشورى وممارستها الإيمانية ، منهج المؤمن بين العلم والتطبيق ، الصحوة الإسلامية إلى أين ، نهج الدعوة وخطة التربية والبناء ، وغيرها من الكتب .

ولقد أهمل المسلمون اليوم دراسة الواقع ووعيه وفهمه ، حتى انعكس هذا الإهمال على قضايا خطيرة في حياة الأمة . ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ واعين لهذه الخطورة والأهمية لدراسة الواقع ، فأعانتهم على معرفة الحدود والمواقف .

فعن أبي سَمُرة بن جندب رضي الله عنه قال : « **لقد كنت**

على عهد رسول الله ﷺ غلاماً فكنتُ أحفظ عنه ، فما يمنعني من القول إلا أن ههنا رجالاً هم أسنُّ مني » .

[رواه البخاري ومسلم](١)

لقد أعانهم فهم الواقع على معرفة مسئولياتهم وواجباتهم وحدودهم وحدود أماناتهم على أساس من إيمانهم وعلمهم بمنهاج الله ، وهم يُعَدُّون لهذه الواجبات في مدرسة النبوّة .

هـ- الوُسْع بين : « الوسع الصادق والوسع الكاذب » :

ولقد توالت الآيات الكريمة في كتاب الله لتربط المسئولية بالوسع والطاقة في مختلف شئون الحياة وميادينها .

﴿ لا يكلف الله نفسها إلا وسْعها ﴾ . [البقرة : ٢٨٦]

﴿ والـذين آمنـوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ .

[الأعراف : ٤٢]

(١) صحيح مسلم . كتاب (١١) . باب (٢٧) . حديث (٦٩٤) .

﴿ولا نكلف نفساً إلا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون﴾ . [المؤمنون : ٦٢]

هذه الآيات الكريمة تضع القانون الربّاني المطلق ، بالحقَّ المطلق : **﴿لا نكلف نفساً إلا وسعها . . .﴾** .

هذه هي القاعدة العامة ، والحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ذلك لأنه تنزيل من عزيز حميد . وهي تمثل القاعدة الأولى لمعرفة الحدود والالتزام بها . فلا يأتي التكليف من عند الله إلا في حدود وسع الإنسان . فالله هو الخالق ، وهو أعلم بوسع الإنسان وطاقته وقدرته . وهو الذي يحد الحدود لخلقه على حكمة واسعة ورحمة ممتدة .

ثمّ تأتي آيات أُخرى تربط وسع الإنسان بمسئوليات محدّدة معيّنة .

﴿ . . . وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها . . .﴾ . [البقرة : ٢٣٣]

﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر

يُسراً ﴾ . [الطلاق : ٧]

فهنا ارتبط الوسع بقضية الإنفاق ومسئولياته ، لتكون هذه المسئولية خاضعة لحكمة الله وسننه التي يمضيها على خلقه في الرزق .

ويرتبط الوسع في آيات أُخرى بقضية أُخرى ، الوفاء بالكيل والميزان :

﴿ . . . وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها . . . ﴾ . [الأنعام : ١٥٢]

ويمضي منهاج الله يحدِّد المسئوليات والحدود على هذا النحو أو على نحو آخر ، حتى تبرز مسئولية الإنسان من خلال ابتلاء وتمحيص كتبه الله على بني آدم كلهم .

والوسع الذي نعنيه هنا هو الوسع الذي وهبه الله لعبده ، وهو الوسع الذي سيحاسبه الله عليه يوم القيامة ، وهو الوسع الذي أمر المسلم أن يستوعب به نشاطه وطاعته وأداء تكاليفه وللوفاء بأمانته وعهده . إنه الوسع « الصادق » ، الوسع الذي يخضع لما ذكرناه . هكذا نحبُّ أن نسمِّيه ، حتى نفرِّقه

عن « الـوسـع الكـاذب » ، الـوسـع الـذي يرسمـه الهوى والأوهـام ، والـذي يتلمّس به الإنسان الأعذار ليسوّغ به وَهَنه وعجزه وضعفه . الوسع الصادق هو الذي يشمل كلّ ماوهبـه الله للإنسـان من معـدن وفطرة ، وعقل وموهبة ، وجسم وقـوة ، وعلم وخبرة ، ومال وغنى ، وبيت وزوجة وأولاد ، ومركز وسلطان ، كلُّ هذا وكثير غيره مما يهب الله لعباده هو من مقوّمات الوسع الصادق .

ويختلف النـاس في وسعهم هذا على حكمة بالغة لله ، وسنن ماضية لله في الكون . ويظل المسلم أميناً ما التزم حدود وسعـه الصـادق ، فإذا لجأ إلى الأعـذار الـواهية والأوهام والأماني ليتحرّر من مسئولياته وواجباته ، فقد رسم لنفسه وسعاً كاذباً ، يَضِلُّ به ويحاول أن يضلّل به الناس .

و - معرفة الحدود التي حَدَّها الله للناس في المنهاج الربّاني :

وتدخل هذه القاعدة في باب العلم بمنهاج الله كما سبق أن عرضناها . ولكننا نبرزها هنا لأنها تحمل أهميّة خاصّة في موضوعنا الذي نحن بصدده . فهي تنص على حدود معيّنة

مبيّنة ، حدَّها الله لعباده المؤمنين ، نورد منها نماذج . ففي الطلاق مثلاً :

﴿ . . . تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدَّ حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾ . [البقرة : ٢٢٩]

وفي الميراث :

﴿تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ﴾ .

[النساء : ١٣]

وفي الصيام والاعتكاف :

﴿ . . . ولا تباشروهنّ وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبيّن الله آياته للناس لعلهم يتّقون ﴾ . [البقرة : ١٨٧]

وهكذا تتوالى الآيات لتبيّن للمسلم حدوداً يقف عندها ولا يتعدَّاها ، وحدوداً لا يقربها ، وحدوداً يلتزم بها طاعة الله ورسوله فذلك هو الفوز العظيم . وتأتي أحاديث النبوّة لتبيّن وتوضح وتؤكد :

فعن أبي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشز عن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيّعوها ، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها ، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها** » .

[رواه الدارقطني](١)

وقد قال الألبانيّ عنه إنه حديث ضعيف . ولكنّ معناه تؤكده الآيات السابقة ، وآيات أُخرى ، وأحاديث أُخرى .

وحدود في العلم كذلك :

﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أُولئك كان عنه مسئولا** ﴾ . [الإسراء : ٣٦]

وعن ابن مسعود قال : « **يا أَيها الناس من سئل عن علم يعلمه فليقل به ، ومن لم يكن عنده علم فليقل الله أَعلم . فإِن من العلم أَن يقول لما لا يعلم الله أَعلم . إِن الله تبارك وتعالى قال لنبيّه ﴿ قل ما أَسألكم عليه من أَجر وما أَنا من المتكلفين ﴾** » .

---

(١) ضعيف الجامع الصغير وزيادته . تأليف الألباني (ج : ٢.) (ص : ٨٥) . حديث (١٥٩٧) . قال ضعيف .

ز- معرفة منازل الناس وحدودهم :

فعلى ضوء ذلك يُحدِّد المسلم علاقاته ومواقفه . ونرى كيف أن هذه القاعدة ترتبط مع سائر قواعد الإسلام . فهي جزء من معرفة المسلم للواقع ، وجزء من معاشرة الناس والاختلاط بهم ، وضرورة للنصيحة والرأي الصادق الأمين .

وذكر مسلم في أول صحيحه تعليقاً فقال : وذُكِر عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « **أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم** » .

وعن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط** » .

[رواه أبو داود][1]

وقد أفردنا فصلاً في كتاب « منهج المؤمنين بين العلم والتطبيق » تحت عنوان : « منازل المؤمنين بين الحقوق

---

(١) أبو داود . كتاب الأدب (٣٥) . باب (٢٣) . حديث (٤٨٤٣) .

والـواجبات » . وفصلاً تحت عنوان : « الموازنة بين مسئولية الفرد والأمة »[1].

وهذه القاعدة ترتبط بقاعدة « العلم بمنهاج الله ، دراسته وتدبُّره » . ولكننا أفردنا لها بنداً خاصاً هنا لأهميتها في هذا الموضوع الذي نحن بصدده .

ح - الروابط الإيمانيّة :

إن الروابط الإيمانيّة تحدِّد المسئوليات والواجبات ، وتضع الحدود وترسم السلوك ، على غير ماتفعله الروابط الجاهلية بين الناس .

وأهم الـــروابط الإيمانية : الأخـــوة في الله ، والقـربى والـرحم ، الأبـوة والأمـومة وتميزهما ، والجوار ، والزواج ، وصحبة السفر .

والروابط الإيمانيّة يصوغها الإيمان والتوحيد ويُبيِّنُها منهاج الله ، حتى تأخذ صورتها التطبيقية في واقع الحياة ، في واقع

(١) كتاب منهج المؤمن بين العلم والتطبيق (ص : ١٣٧-١٧٢) ، والفصل الثاني (١٧٣-١٨٤) .

الإنسان ، فتبرز أهميتها وخطورتها ، وتبرز حاجة الإنسان في الأرض لها ، في الأسرة والجماعة والدعوة والأمة كلها ، وفي البشرية كلها .

وفي كتاب دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية أفردنا بنداً للروابط الإيمانية في الفصل الثاني من الباب الرابع (ص : ١٤٤-١٥٥) .

وهذه القاعدة مرتبطة كذلك بقاعدة « دراسة منهاج الله وتدبُّره » . فمن منهاج الله ينشأ التصوُّر الأمين لهذه الروابط ، ومنه تُعرَف حدود كل رابطة ومسئولياتها .

فبهذه القواعد الإيمانية التي عرضناها : معرفة الحدود التي حدّها الله ، ومعرفة الناس ومنازلهم ، والروابط الإيمانية ، نقدّم نموذجاً لنوضح كيف تأتي نصوص منهاج الله لتُحدِّد مسئوليات المؤمن وتبيّن له حدوده ومسئولياته ، وحقوقه وواجباته .

لا نقصد بهذا العرض أن هذه هي وحدها التي تبيّن للمسلم حدوده . فمنهاج الله على تكامله وترابطه وتناسقه هو الذي يجلو أصدق الجلاء حدود المسلم ، وواجباته وحقوقه .

ولا يستطيع أيّ مصدر آخر ، غير منهاج الله ، أن يجلو هذه القضايا على تناسقها وتكاملها وترابطها . فلا بد من العودة لمنهاج الله ومصاحبته صحبة عمر وحياة ، ليظلّ الريّ ثرّاً والمدد وفيراً .

ط- الأخلاق الإيمانيّة بتكاملها وتناسقها في منهاج الله :

الأخلاق الإيمانيّة كلها تساعد المؤمن على معرفة حدوده والتزامها . فالوضوح والجلاء عامل هام وضروري ، واجتناب الهمس والنجوى الباطلة والغموض ، كل ذلك يعين على معرفة المسلم لحدوده ، وتهيئة الجو لالتزامها . فقد تدفع العلاقات الخاصة إلى الهمس والغيبة والنميمة يتجاوز بها المسلم الحدود التي رسمها الله له . وقد يَتحوّل المجلس بين اثنين إلى ساحة يخوضون فيها فيما لا يحلّ لهم ، أو ما يناقض عهداً من عهود الله ، أو ما يناقض رابطة من روابط الإيمان .

وربما تدفع العلاقات الخاصة والمجالس الخاصة إلى طرح رأي أو تقديم نصيحة في غير مكانها الصحيح أو وقتها

المناسب ، فتضيع فائدة الرأي وثمرة النصيحة . وقد يتحوَّل ذلك إلى شر كبير .

فحين تأتي الكلمة في ميدانها الشرعي وساحتها الإيمانية ، وحين يتوافر من يفيد أو يستفيد ، حين يحدث هذا تتضاعف فائدة الكلمة وبركتها ، أو الخطوة وثمرتها ، أو المسعى وعطاؤه .

فحين يعرف المسلم أين يقول كلمته الأمينة ، يجد من يأخذ بها فيستفيد ، أو من يقوّم ويصحّح إن كان هناك خطأ ، أو يجد من يوجه ويشير .

الوضوح والجلاء ، والأمانة والوفاء ، والعهد والولاء ، والصدق والأدب ، والوعي والعلم ، وكثير غير ذلك من قواعد الأخلاق الإيمانية بتكاملها وتناسقها في منهاج الله ، تجتمع لدى المؤمن في موازنة صادقة أمينة ، موازنة تخرج عن إيمان وعلم وخبرة ، موازنة تبتدىء بالنيّة والخطة والنهج ، موازنة تعين المسلم على معرفة حدوده وعلى التزامه بها .

بغير ذلك تذهب فرص كثيرة لمعالجة الأخطاء ، وتضيع فُرص للنصيحة والتوجيه ، ونفقد طاقات وأوقاتاً وجهداً في

متاهة أو فتنة وشر ، في أجواء الأُسرة والجماعة والدعوة ، وفي أجواء الأُمة كلها .

ي - الإدارة والتنظيم والنهج والتخطيط :

فالإدارة والتنظيم حين تقوم على أُسس الإيمان والعلم بمنهاج الله والعلم بالواقع ، تنمو مع الممارسة والتطبيق . ومما يساعد على نموّها وصلاحها أن تقوم على نهج مدروس وخُطة سليمة ترسم المنطلق والدرب ، والأساليب والوسائل ، والأهداف .

فالإدارة والتنظيم على ضوء ذلك تُحدِّد مسئوليات المسلم وصلاحياته ، وترسم له حدوده ودائرته . وبالإضافة إلى ذلك تنشيء التناسق والتعاون بين مختلف الحدود ، ومختلف المستويات ، حتى توفّر أفضل الشروط لتحقيق الأهداف الإيمانية .

وتدخل الشورى بكل قواعدها الإيمانية أساساً للإدارة والتنظيم ، مثل : الرأي ، النصيحة ، أدب الاختلاف وحدوده ، الموازنة ، معالجة الأخطاء .[1]

(١) يُراجع كتاب « الشورى وممارستها الإيمانية » . الطبعة الثالثة للمؤلف لمزيد من التفصيلات حول النظام الشوريّ الربّاني .

ك - المبادرة الذاتية :

ولقد سبق أن أفردنا لها فصلاً خاصاً . وهنا نحتاج إلى أن نبيّن أن المبادرة الذاتية لا تعني تجاوز الحدود ، ولا منازعة الأمر أهله ، ولا الدخول في عدوان أو فتنة أو ظلم . فالمبادرة الذاتية تدور في الإطار الذي يرسمه منهاج الله لتحقيق أهداف الخير والصلاح ، على أساس من النهج والخطة ، والإدارة والتنظيم ، لا على أساس الارتجال والفوضى والاضطراب . وفي الفصل السابق بحثنا المبادرة الذاتية في فصل مستقل ، ليتكامل الموضوعان معاً ، ويقدما القاعدة الرئيسة للحوافز الإيمانية . وفي ختام هذا الموضوع يجب أن نؤكد أن صلاح هذه العوامل كلها في معرفة المسلم لحدوده يقوم على صدق النيّة وصلاحها . فإذا فسدت النيّة تعطلت هذه العوامل كلها ، واختلطت الحدود واضطربت .

وقد يزيّن الشيطان للمسلم أن يصوغ حدوده على ضوء مصالحه المادية ، ومنافعه الدنيوية ، وشهواته وأهوائه . ثمّ قد يحاول أن يخفي ذلك بمظاهر التقوى والصلاح ، من شعائر تعبّدية وغيرها . فمهما طال إخفاؤه هذا فلا بدّ أن

يظهر ، وإذا لم يرد الله أن يكشفه في الدنيا ، فعذاب الله شديد في الآخرة .

وأخطر ما في هذا الأمر أن يمارس المسلم هذه المظاهرحينما يخفي تحتها مصالحه وهواه ، حتى يعتاد ذلك ويألفه ، فلا يُفِيق على سوء ما يفعل ، ويحسب أنه يفعل حسناً . فلا تنفع معه نصيحة ولا إرشاد ، ويمضي في غيّه فساداً وفتنة .

معرفة المسلم لحدوده ضرورة لسلامة المجتمع المسلم ، وقاعدة إيمانية هامَّة ، حتى تتناسق الجهود فتصبّ في مجرى واحد من الخير والصلاح ، ولا تتبدَّد وتتفرَّق وتتمزَّق في متاهات وظلام .

معرفة المسلم لحدوده والتزامه لها تعين على معالجة التحاسد والتناجش والتباغض . إنها تعين على الموازنة والتنسيق ، وتحول دون التنازع والتفريق .

معرفة المسلم لحدوده تعين على رعاية الأُخوة في الله ، وصفاء الموالاة بين المؤمنين .

معرفــة المسلم لحدوده ضرورة لبنـاء القـوة في الأُمـة المسلمـة ، ولحـماية الإعداد ، وسلامة التدريب في الدعوة الإسلامية ، وفي لقاء المؤمنين .

٣- الاجتهاد بين الخطأ والإثم :

تحتاج المبادرة الذاتيّة إلى اجتهاد أَحياناً ، إلى موازنة بين قواعد إيمانية متعددة . والاجتهاد في مثل هذه الحالات قد يمتدُّ بين الصواب والخطأ والإثم . ذلك أَن الاجتهاد إذا لم يكن صوابـاً فقد لا يقف عند حدود الخطأ فحسب ، فربّما يكون الاجتهاد إثماً .

فحديث رسول الله ﷺ : عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا حكم الحاكم فاجتهد ثمَّ أَصـاب فله أَجـران . وإذا حكم واجتهـد فأَخـطأ فله أَجر** » . [رواه مسلم][1]

فحديث رسول الله ﷺ هذا يحدّد أَولاً موضوعه باجتهاد الحاكم حين يحكم . والحاكم لا يبلغ درجة الحكم بين الناس

(١) صحيح مسلم . كتاب (٣٠) . باب (٦) . حديث (١٧١٦) .

إلا إذا توافرت فيه الخصائص الشرعية لهذه المهمة . وأول هذه الخصائص : الإيمان ومظاهره ، العلم وأماراته ، والخبرة والكفاءة .

بعض الناس يحسبون أن هذا الحديث الشريف ترك باب الاجتهاد مفتوحاً لهوى الناس ، حتى يجتهد من يجتهد كيف يشاء ، ثمَّ يسوّغ خطأه بقوله اجتهدت فأخطأت ، أو اجتهد فلان فأخطأ فله أجر . وقد لا يكون الأمر كذلك . فقد يكون من الاجتهاد ما يُقرِّب من الإثم أو يوقع فيه .

نحن نؤمن أن الاجتهاد بصورة عامة مفتوح دائماً في حياة المسلمين ، على أن ينهض كل مسلم لمسئولياته ، ويتزوّد بما تحتاجه مسئوليته من زاد يخوّله حق الاجتهاد في حدود مسئولياته . فالحديث الشريف يشجع على حسن الاجتهاد ، ولكنه لا يطلق الاجتهاد لهوى الناس ، وإنما يقيّدها بقيودها الشرعية ، وقيودها الشرعيّة مفصلة في كتاب الله وسنة رسوله . وأهم هذه الشروط أن يجتهد المسلم في حدود مسئولياته وأمانته واختصاصه ، وأن يتزوّد لمسئولياته هذه بزادها العادل الأمين . نؤكد هذه القضية بتكرارها لأهمية

التكرار في هذه القضية .

فحين لا يتوافر الزاد اللازم ، أو حين يجتهد المسلم فيما لا يفقه وما لا يعنيه ، وفيما هو خارج وسعه ومسئوليته ، في هذه الحالة يمتدّ الاجتهاد بين الخطأ والإثم .

فلا بدّ من وقفة إيمانيّة ، تُراجَع فيها بعض الأخطاء ومواضع الزلل ، حتى نحاسب أنفسنا لنكون أقرب للتقوى .

فربّما يجيز المسلم لنفسه أن يجتهد تحت شعار « البراعة والمهارة » أو يحسبه ذكاءً وفطنة وما هو بذكاءٍ ولا فطنة ، فيهلك نفسه بهواه وجهله ، ويهلك غيره بما يجرّه إليه . ونورد بعض النماذج من هذه الأخطاء التي تمتدّ لتكون إثماً ومعصية ، وفتنة وشرّاً :

أ - أن يلجأ المسلم إلى عدم الوضوح مع إخوانه ويجتهد بإباحة ذلك لنفسه :

فمن أهم معالم الوضوح هو وضوح المعلومات التي تساق ، واكتمالها وتمامها بما يتطلبه الموقف أو القضيّة .

وكـذلـك أن تترابط المعلومـات وتتنـاسق فلا يعـارض أولها آخرها . وكذلك أن تستقيم صياغتها ، حتى لا تحتمل أكثر من معنى فيقع الغموض ، ويثور الجدل والمراء . وقد يجد أحـدهم حجة واهية يدافع بها عن خطأه وزلله من خلال غموضه أو الصياغة التي صاغها أو الجدل الذي يثيره . هذه الأجواء قد تدفع المسلم إلى الكذب ، ثمّ إلى ما هو أكثر من الكذب ، ليرفع عن نفسه الحرج ، فتختفي الحقائق وتطوَى في ضبـاب كثيف يذهب بجـلاء الصدق وراحة الأمانة ، وطمأنينة التقوى .

ب- أن يجتهد بتزكية نفسه ليسوّغ زلله :

فمن الناس من ينفي عن نفسه الزلل بحجة إبراز بعض محاسنه وتزكية نفسه ، ليوهم الناس أنه وهو صاحب الفضل والحسنات التي يعدّدها لا يعقل أن يزلّ أو يخطىء . ويتوهم النـاس أن صاحب الحسنات مبرأ تبرئة كاملة من الزلل أو الخطأ . فيصبح الإثم من الطرفين ، وهذا يزكي نفسه وذاك يكاد يُنَزِّه الناس عن الخطأ ، وكل بني آدم خطاء . وفي جميع هذه الحـالات ، إن وقعت ، يكون الميزان الذي توزن به

الأمور ميزاناً مضطرباً غير إيماني .

جـ- أن يجتهد بجواز استخدام موهبة اللسان للتضليل :

فقد يهب الله إنساناً نعمة البيان فيحوّلها إلى كفر وضلالة ، فيخدع الناس بلسانه حتى يصدّقوا ضلالته . وقد قال الأحنف بن قيس : قدمت على عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فاحتبسني عنده حولاً ثم قال : «أتدري لمَ احتبستك ؟ قد بلوتك وخبرتك فرأيت أن علانيتك حسنة ، وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك . وإن رسول الله ﷺ خوّفنا كلّ منافق عليم اللسان ، ولستَ منهم» .(١)

د - أن يجتهد بادعاء حسن النيّة لتسويغ الزلل :

وربّما يحسب بعض الناس أنّ حسن النيّة كافية لتبرئة المذنب أو المخطىء أو الآثم . فإذا ادعي أحد ذلك لنفسه صدّقه بعض الناس ، وغاب عن بالهم أن أمر النيّة موكول إلى الله سبحانه وتعالى ، وأن لنا ظاهر الأمر في الدنيا .

(١) أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر لعلي الطنطاوي وناجي الطنطاوي . (ص : ٢٠٤) . ط : الثانية . دار الفكر للنشر والتوزيع .

فلا ترتفع عقوبة بحسن النيّة ولا يوقف حدٌّ من حدود الله . ومن ادعى حسن النية ليسوّغ زلله فقد جهل أو تجاهل ضلالة ادعـائه ، أو استغل جهل الناس بأمور دينهم ، أو استغلّ حسن ظنّ الناس به . فيزداد بذلك إثمه . إن النيَّة موكول أمـرها إلى الله وحده فهو يحاسب عليها ، ولنا ظاهر الأمر نحكم عليه بميزان منهاج الله ، فيكون صواباً أو خطأً ، برّاً أو إثماً ، على أساس ذلك .

ولكن إذا قامت أمارات تشير إلى سوء الطويّة ، فلا بد من التـوقف عنـدهـا لحماية المسلمين من أذى يترتب على هذه الأمارات . وأغلب ما يكون ذلك مع الأعداء والمنافقين ، حيث لا يرتبط المسلم معهم بقـاعدة حسن الظن ، ولا مع الضعفاء والجهلاء ، حتى تتوافر سبل الحذر لحماية أعراض المسلمين وأموالهم ودمائهم .

هـ- أن يجتهد بجواز الكذب في غير ما أذن به الله ورسوله :

وهـذا ما يسميه بعضهم ضلالاً « بالكـذب الأبيض » ، وما هو بالأبيض . وقد يلجأ بعضهم إلى ذلك وهماً منهم أنهم

ينجون بالكذب ، وليست النجاة إلا بالصدق .

ففي سورة التـوبة ، بعد أن بيّن الله موقف المنافقين في غزوة تبوك ، وكيف سلموا ظاهراً من عقوبة عاجلة في الدنيا بالكـذب الـذي قالـوا به والأعـذار الـواهية الكـاذبة التي قدّموها ، وكيف عوقب الثلاثة الذين خُلِّفوا عقوبة عاجلة شديدة بالصدق الذي قالوه ، بعد هذا كله ختم الله هذين الموقفين بقوله سبحانه وتعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ .

[التوبة : ١١٩]

هذه أمثلة ونماذج من الاجتهاد الخاطىء الذي يلجأ إليه بعض المسلمين اليوم ، اجتهاداً نابعاً من الجهل أو الهوى أو كليهما ، كان لا بد من الإشارة إليها كظاهرة من مظاهر واقعنا اليوم ، ظاهرة من تجاوز الحدود حتى يقع الإنسان في الإثم والمعصية ، فيفسد ويؤذي في الأرض ، وقد يحسب أنه ناج أو على خير .

الأمثلة من الاجتهاد الخاطىء الذي يُقرِّب من الإثم أو

يوقع فيه كثيرة في واقعنا اليوم ، نكتفي منها بالأمثلة السابقة ، لنؤكد بها أهمية معرفة المسلم لحدوده ، وأهمية صدق المبادرة الـذاتية ، والحوافز الإيمانية والموازنة في ذلك كله عن إيمان وعلم وخبرة ومسئولية .

باب الاجتهـاد مفتوح للمسلم في حدوده وشروطه التي حدّدها الله ورسوله . وأول ذلك أن يكون الاجتهاد في نطاق الـوسع والطاقة ، والمسئولية والأمانة . فلا يجتهد المسلم في قضايا بعيدة عنه لا تمس مسئوليته التي سيحاسبه الله عليها . وثانياً أن يكون الاجتهاد نابعاً من صفاء الإيمان والتوحيد ، لا يلعب الهـوى والمصالـح فيه فيحـرفه . وثالثاً أن يكون الاجتهاد قائماً بعد ذلك على قاعدتين هامتين : العلم بمنهاج الله والعلم بالـواقع . ورابعاً أن يرافق ذلك خبرة نامية مع الممارسة والتطبيق .

إن عدم معـرفة المسلم لحدوده قد يوقعه في اجتهاد آثم لا يقتصر على الخـطأ العـادي . فلا بد إذن من وعي هذه القضية دون أن تمنـع المسلم من الاجتهاد الأمين الخاضع للشروط السابقة ، وإلا تتعطل حياة المسلمين . فلا بد من

اجتهاد رب الأُسرة في تربية أَولاده ورعاية زوجته وصلة أَرحامه ، ولا بد للمسلم أَن يجتهد في أَبواب كثيرة من الإِنفاق ، والموظف في أقرب وسائل التقوى لأداء وظيفته ، والمسلم عامة في ميدان حياته وعمله ومسئولياته ، وفي شئون المسلمين العامة التي يحاسب عليها بين يدي الله . ولا بد من اجتهاد التاجر في تجارته والصانع في صناعته والسياسي في سياسته .

٤ - الموازنة في الابتلاء والتمحيص :(١)

مع وضوح القواعد الإِيمانيّة وجلائها في منهاج الله ، حسب ماعرضناه في الصفحات السابقة ، فإِن ممارستها في ميدان الواقع يحتاج إِلى موازنة دقيقة أَمينة عادلة .

إِن تحقيق هذه الموازنة نفسها يحتاج إِلى إِيمان وعلم وخبرة . ومن خلال هذه الموازنة يدخل المؤمن في ابتلاء حقيقيّ ، وتمحيص لطاقاته وقدراته ، ولإِيمانه وعلمه ، ولفهمه للواقع ووعيه .

---

(١) يُراجع كتاب «الشورى وممارستها الإيمانية» (ط : ٣) لتفصيلات أوسع عن «الموازنة» الباب الخامس . (ص : ٣١٧-٣٤٨) .

ولقد كتب الله على بني آدم الابتلاء . كما كتب عليهم الخطأ ، فكل ابن آدم خطاء . وفتح الله لذلك باب التوبة والاستغفار رحمة منه سبحانه وتعالى .

فقد يتجاوز كثير من المسلمين حدودهم . فليس الخطر دائماً في هذا التجاوز فحسب . ولكن الخطر الأكبر هو الاستمرار والمضيّ في الخطأ ، وعدم الاستغفار والتوبة والإصلاح . فيجد الشيطان فرصته في ذلك ليزيّن للناس أهواءهم وضلالهم ، ويثير التحاسد والتناجش والتباغض حتى تقع الفتنة .

إن عدم معرفة المسلم لحدوده يقوده إلى الكِبر الذي نهى عنه الله ورسوله . ففي الكبر تجاوز للحدود وغمط للحقوق :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « **الكِبْر من بَطَر الحقَّ وغَمَط الناس** » .

[رواه أبو داود والحاكم][1]

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته . (ج : ٤) . (ص : ١٩٣) . حديث (٤٤٨٤) .

وأَي تجاوز للحدود أَكبر من ذلك . إِن الكِبر ليفتح باب الـظلم والعدوان ، والغرور والإِعجاب بالنفس ، والافتراء والغيبة والنميمة . إِنه يفتح باباً واسعاً للشيطان .

وحتى لا يقــع المسلم في أَمثال هذا الإِثم ، فلابدَّ من الموازنة العادلة بين مختلف النصوص ليدرك أَيُّها أَقرب للواقع الذي يمرّ فيه ، وأَيها أَقرب للتقوى .

وإِذا صاحب المسلم منهاج الله،أَنار منهاج الله له السبيل حتى يعرف ما يأخذ وما يذر ، وما يقبل عليه وما يتّقي ، فإِن الله سبحانه وتعالى بيّن للناس ما يتقون :

﴿ وما كان الله ليُضِلَّ قوماً بعد إِذ هداهم حتى يبيّن لهم ما يتّقون إِن الله بكل شيء عليم ﴾ . [التوبة : ١١٥]

فأساس الموازنة العادلة إِذن هي ردّ الأُمور كلها إِلى منهاج الله ردّاً أَمينا يقوم على صفاء الإِيمان وقوة العلم .

٥- أَهميّة التدريب على معرفة الحدود في مدرسة الدعوة :

إِن هذه القضية نعــرضهــا هنا واحدة من إِحدى قضايا

الممارسة الإيمانيّة التي يحتاج المسلم فيها إلى تدريب منهجي مرحلي ، حسب ما أوضحناه في كتاب : « نهج الدعوة وخطة التربية والبناء » .

فلا بد من تدريب المسلم على حسن ممارستها تدريباً منهجيًّا ، يخضع للدراسة وسلامة النهج .

ومع ممارسة هذا التدريب المنهجي تنمو الأساليب وتتطور إلى صورة أوسع وأقوى . وبغير البدء والممارسة يتعذّر أن يكون هنالك نموٌ وتطور حقيقيّ للجهد البشري .

٦- الحوافز الإيمانيّة :

إنّ أهم ما تهدف إليه التربية هو توفير الحوافز التي تدفع الإنسان إلى البذل والعطاء . والتربية الإيمانيّة تهدف إلى توفير الحوافز الإيمانية .

وإن مصدر الحوافز في الإسلام وينبوعها الغنيّ هو الإيمان . وعلى قدر ما ينمو الإيمان والتوحيد ويصفوان ، تنمو الحوافز الإيمانية لدى المؤمن ، وهو يسعى على يقين راسخ وثقة بالله لا تتزعزع ، يبذل ويعطي مالاً وجهداً ، ثمّ ينمو

البذل والعطاء في صورة رائعة حين يقدّم المؤمن نفسه وروحه في سبيل الله .

إنها صورة رائعة في حياة الإنسان على الأرض ، حين يقدم الإنسان روحه في سبيل الله على أطهر صورة وأعظم هدف ، يطرق أبواب الجنّة ، وهو يبذل من أجل الصلاح والخير ، لا من أجل الفتنة والفساد ، من أجل الناس كلهم ، من أجل الإنسان ، ليقدّم أعمق بعد إنسانيٍّ في تاريخ البشرية كلها .

لا يمكن أن يصل المسلم إلى هذا البذل والعطاء إلا إذا توافر لديه الحافز الإيمانيّ القويّ الذي يتناسب مع هذا العطاء .

إن الهداية من الله . ونحن نبذل جهدنا البشريّ عبادة لله وطاعة كما أمرنا . والله يهدي من يشاء ويضلّ من يشاء ، والله حق في كل ما يقضي به ، لا ظلم في قضائه أبداً ، ولله حكمة غالبة وسنن ماضية ، وله الأمر كله وإليه المصير .

ولقد ذكرنا في أول البحث لمحة عن الحوافز الإيمانيّة ، ورأينا أن نختم بها بحثنا هذا ، لنعيد ونؤكد ونذكر بأهمية

الحوافز الإيمانية وأهمية رعايتها .

ولقد بحثنا في الحوافز الإيمانيّة هنا بالقدر الذي يناسب موضوع الدراسة والبحث حول المبادرة الذاتية ومعرفة المسلم لحدوده .

الفصل الثالث

الحوافز الإيمانية وواقع المسلمين

الفصل الثالث
الحوافز الإيمانية وواقع المسلمين

نرجو أن يكون قد برز من الفصول السابقة أهمية موضوع الحوافز الإيمانية ، وخطورته في ميدان الدعوة الإسلامية ، أو في ميادينها كلها ، سواء في ذلك ميدان التربية والبناء ، والتدريب والإعداد ، وميدان الإدارة والتخطيط وتوزيع المسئوليات والحقوق ، وميدان الاقتصاد والمال ، وغير ذلك من الميادين الممتدة في الدعوة الإسلامية .

وكذلك نرجو أن يكون قد برز ارتباط الحوافز الإيمانية بقضية الإيمان والتوحيد ، وارتباطها كذلك بالنظرية العامة للدعوة الإسلامية ، بركنيها الأساسيّين : المنهاج الرباني والواقع ، وبأسسها الأربعة : الإيمان والتوحيد ، المنهاج الرباني ، الواقع ، الممارسة الإيمانية ، وبعناصرها الثمانية : الأسس الأربعة تمثل العنصر الأول ، النهج العام والتخطيط ، نهج الدعوة وخطتها ، نهج التربية والبناء وخطته ، نهج التدريب وخطته ، التقويم ، الميزان ،

المؤسسات الإيمانية .[1]

وعلى أساس هذا التصور وهذا الارتباط يجب أن ننظر في واقع المسلمين اليوم لنرى كم تتحقق الحوافز الإيمانية فيه ومدى تأثيرها في مسيرة الأمة .

إن النظرة العاجلة في واقع المسلمين تكشف صورة مؤلمة عن ضعف الحوافز الإيمانية واضطرابها . إن الحوافز الإيمانية لا يمكن أن تخلو من الأرض أبداً مهما ضعفت في واقع المسلمين . إنها ستظل حقيقة حيّة عاملة في واقع الإنسان بقَدَرٍ من الله ماضٍ مع الدهر . إنها تكون على الأقل في الطائفة الظاهرة التي حدثنا عنها رسول الله ﷺ .

عن ثوبان رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرُّهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك** » . [رواه مسلم][2]

---

(١) تُراجع الكتب التالية من أجل تفصيلات أوسع عن النظرية العامة للدعوة الإسلامية : نهج الدعوة وخطة التربية والبناء ، النهج والممارسة الإيمانية ، الصحوة الإسلامية إلى أين ؟

(٢) صحيح مسلم . كتاب (٣٣) . باب (٣٥) . حديث (١٩٢٠) . وقد جاء في روايات متعددة في صحيح مسلم في الأحاديث رقم : ١٩٢٢ ، ١٩٢٣ ، ١٢٩٤ . وفي سنن أبي داود حديث رقم (٢٤٨٤) .

ففي هذه الطائفة الظاهرة تتوافر الحوافز الإيمانية بقوتها ونشاطها ، حتى تدفعها على مدى الدهر لتحمل رسالة الله إلى الناس كافّة ، فتدعو وتبلغ وتجاهد في سبيل الله على نهج واع متكامل متناسق ، وصبر وبذل .

وتظلّ هذه الطائفة الظاهرة تمثّل النّواة القوية الحيّة في واقع الإنسان ، تعجز أي قوة في الأرض عن تحطيمها . إنها قدر الله والله غالب على أمره ، وقضاؤه نافذ وقدره ماض .

وهذه النواة الحيّة القويّة هي مركز انطلاقة الدعوة الإسلامية في الأرض على سنن ثابتة لله وحكمة غالبة يتحقّق فيها الابتلاء والتمحيص ، حتى تقوم الحجة على كل إنسان ، وعلى كلّ جماعة ، وعلى كل شعب وأمة .

والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة توضح لنا أن الدعوة الإسلامية في مختلف ميادينها هي مسئولية الفرد المؤمن في نطاق وسعه وطاقته ، ومسئولية الجماعة في نطاق عهدها ونهجها وخطتها ، ومسئولية الأمة المسلمة كلها بأفرادها وعلمائها ودعاتها وولاة أمرها . وكلهم محاسبون بين يدي الله عن أمر دعوة الله ، وكلٌّ في نطاق مسئوليته .

من هذا التصوّر الذي تعرضه لنا الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة نستطيع أن نقف مع أنفسنا وقفة إيمان ومراجعة وحساب ، حتى يرى كل مسلم حقيقة واقعه اليوم قبل أن يفاجئه الحساب الشديد بين يدي الله يوم القيامة ، يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ، ولا تنفع أعذار لفّقها في الدنيا ، ولا يفيد مكر حسبه ذكاء في الدنيا .

في واقع المسلمين اليوم وهنت الحوافز الإيمانية وغلبت شهوات الدنيا . ولقد ساعد على هذا الوهن جهل غالب بين الناس بمنهاج الله ، وجهل بالواقع ، وزحف منهجي مدروس للفتنة يدفعه المجرمون في الأرض تحت شعارات مزخرفة ورايات مضللة من العلوم والصناعة ، يُسخَّر للفتنة والفساد لا للخير والصلاح . وتحت لهيب الشهوات وانفجار الأهواء وجنون الصراع عليها ، ومع انتشار شياطين الإنس والجنّ في الأرض يدعون إلى كل فتنة وضلال ، ويورون لهيب كل شهوة وهوى ، ويزخرفون الباطل ويخفون ما استطاعوا بعض الحق ، ليصدوا عن سبيل الله ويضلوا الناس ، تحت تأثير هذا كله دفع المجرمون الجيوش والسلاح

ليرُغموا الشعوب ويذلوا العباد .

وهنت الحوافز الإيمانية فوهنت المبادرة الذاتية في قطاع واسع من المسلمين . واضطرب كذلك الميزان بين أيدي الناس لنفس الأسباب التي عرضناها أعلاه ، فاختلطت الحدود والمسئوليات والواجبات حتى لم يعد من السهل أن يعرف المسلم حدوده التي حدَّها الله له .

لقد حدّ له الناس والمجتمعات وشياطين الإنس والمجرمون حدوداً جديدة . حدُّوا له هذه الحدود وفرضوها بالقوة العاتية والمكر الكبير والكيد الشديد .

ولقد برز أثر هذا الوهن في واقع المسلمين بشكل كبير وصورة مفزعة وحالة مؤلمة .

حتى في واقع العمل الإسلامي تبدّلت الحوافز وتغيّرت المبادرة الذاتية . لم يعد حمل رسالة الله إلى الناس كافّة هي القضية الأولى . ولم تعد الدعوة إلى الإيمان والتوحيد ، ولا رسم المناهج له ، ولا وضع الخطة والدراسات ، لم يعد هذا كله هو الهمّ الأكبر والأول . لقد انصرفت الجهود إلى آمال أخرى ومطامح عدة تصارع عليها الناس حتى أكل الصراع

جهودهم ، وحتى نشأت أجيال لا يعرفون من حقيقة دينهم ما يجب أن يعرفوه حين يتقدمون إلى الناس على أنهم دعاة .

لقد عجمت الألسن حتى صعبت اللغة العربية على أبنائها . وهجر الكثيرون كتاب الله وسنة رسوله هجراناً طويلاً . وغرق الكثيرون في طلب علوم كثيرة ينشأون عليها وعلى فلسفتها وهم بعيدون عن منهاج الله ، وانسلّت إلى قلوبهم أفكار منحرفة عن الإيمان ونهجه ، وربما حسبوها من الإيمان ، وغلبت عادات وأعراف حتى ألفها الناس وهي بعيدة عن دين الله ، وربّما ألفها ورضي بها بعض من يدعو إلى الإسلام ، وهاجت عصبيات جاهلية كثيرة تعصف بالمسلمين وأفكارهم وإيمانهم عصفاً .

في هذا الجو الخانق المضطرب كيف تنشأ الحوافز الإيمانية ، كيف تستقيم الفطرة ، وكيف يصفو الإيمان ؟!

في هذا الجو كيف تتحرك المبادرة الذاتية ؟! وما هي القوى التي تحرّك والأهداف التي تجذب ؟!

لعل مثلاً واقعياً يوضح ما نهدف إليه :

كان لي صديق مسلم في قلب العمل الإسلامي . كانت الوظيفة والبيت تأخذ معظم وقته . يتحرّك من أجل وظيفته هنا وهناك في نشاط ظاهر ، . يقضي ساعات طويلة في النوم بعد الظهر . جهده للدعوة ضعيف أو معدوم . حاولت إقناعه بأن النوم بعد العصر خاصة مكروه ومؤذٍ ومضيعة لوقت ثمين . تعذّر عليّ إقناعه لأن حجته كانت فاصلة حاسمة : هذه عادة لا أستطيع تركها أبداً . فالنوم بعد العصر شيء أساسي ، ولا أضحي بهذا النوم ولو جاءت أموال الدنيا . وغابت الأيام . وذات يوم من أيام القيظ ، وأنا متجه بسيارتي بعد العصر ، مرَّ صاحبنا من أمامي بسيّارته كالبرق مسرعاً . فعجبت من ذلك . فهذا وقت نومه الّذي لا يُضحّي به لا من أجل المال ولا من أجل الدعوة . فأسرعت خلفه حتى أدركته وأوقفته . فنزل ونزلْتُ وسلَّم وسلمتُ . ثمّ قال معتذراً : أنا في عجلة من أمري فلا تؤاخذني . قلت له : هذا وقت نومك لا تضحي به من أجل المال ولا من أجل الدعوة فما أخرجك الآن ؟! هل من حدث هزّ الكون ؟! قال : دعنا من المزاح ، أمامي موعد هام لصفقة تجارية أكسب بها بعض المال . وانصرف لسيارته

مسرعاً .

هذه حالة تتكرر في واقع المسلم . الحافز الإيماني ضعيف ، يخبو حتى يغيب ، وحوافز الدنيا تنمو حتى تعلو وتسيطر وتتحكم . ثمّ نُخفي ذلك تحت شعارات الإسلام ، أو شعارات الشهادة الجامعية نتقدم بها إلى الناس ، أو تحت شعار العصبيات من عائلية أو إقليمية أو قومية ، نسيطر بها على فئة من الناس . ويغيب عن بال هؤلاء أن الله يعلم ما في الصدور ، وأن الموت قريب ، وأن الحساب شديد ، لا ينفع فيه مال ولا بنون ، ولا منصب ولا رحم ولا عصبية .

بهتت الحوافز الإيمانية وغابت في كثير من الأحيان ، وبهتت المبادرة الذاتية الإيمانية تبعاً لذلك ، وامتدّ هذا الحال في واقع المسلمين ظاهرة مرضية خطيرة .

وقد لا يشعر المسلم بهذا الغياب أو الضعف أو الانحراف . وقد يحسب أن حوافزه إيمانية وأهدافه إيمانية دون أن يكلف نفسه عناء ردِّ واقعه إلى منهاج الله ، ليعرف واجباته الحقيقية من منهاج الله على ضوء واقعه وواقع أمته وواقع المسلمين . يمضي المسلم دون أن يشعر بخطورة ما هو

مبتلى به على جهل أو فتنة أو استكبار .

في واقع المسلمين اليوم ، لا تحتلّ قضية الدعوة إلى الله ورسوله ، إلى الإيمان والتوحيد منزلتها الحقّة ولا هي نالت الجهود التي تستحقّها . لقد انصرفت جهود كثيرة إلى الدعوة إلى تكتلات ، أو إلى أشخاص ، أو إلى هيئات . ولقد برز هذا الأمر في واقع المسلمين بروزاً ظاهراً ، حتى تحجّرت القضايا الوطنية والخلاف فيها ، وقضايا الإسلام والخلاف فيها ، على صراع حول أشخاص يدور النزاع الشديد حولهم ، هذا يُحطّم وهذا يقدِّس ، ولا تنال المناهج حظاً من الصراع أو الحوار أو الدراسة .

أصبح هناك شخص ما نختلف عليه أو نلتقي عليه . ويغيب الحوار حول المبادىء كما ذكرنا أعلاه . لا ننكر أن القائد له حقّه ودوره في تمثيل النهج . ولكن الذي ننكره أن ينحصر الصراع والخلاف ، أو اللقاء والاتفاق ، أو الغضب والخصومة ، أو الرضا والمودة ، حول شخص فقط دون أن ينال النهج أي حظ من الحوار والنصح ، حتى يصبح الرجل المرجو هو مصدر الحوافز ومحركها مع سائر العصبيات الجاهلية .

من أَجل ذلك أَصبح بعض الرجال لدى بعض الناس فوق الشبهات ، فوق النصيحة ، فغلب الكبر والاستكبار . ومن ناحية أُخرى اختلط القصد أو ساء السلوك حتى حصر بعض الناس نقدهم في التجريح والإساءة ، وإبراز العيوب وإخفاء الحسنات . فغابت معاني النصيحة الحقّة الإيمانيّة وضاعت بركتها ، وصار الناس على ذلك شياطين فاسدين أو ملائكة مطهرين . ولم تعد الحوافز الإيمانية هي التي تدفع النصيحة ، حتى كادت كلمة « النصيحة » ذاتها تختفي مع كلِّ صدقها وجمالها ، وأَخذت كلمة « النقد » تسود مع باطلها وسوء ظلالها .

ضعفت الحوافز الإيمانية ، وانطلقت حوافز الدنيا وساد الصراع والتنافس عليها والمزاحمة على أَوحالها ، وغاب الإبداع في ميدان التنافس على الآخرة ونعيمها .

ضعفت الحوافز الإيمانية ، فضعفت الجهود في ميدان الدعوة والبلاغ ، والإيمان والتوحيد ، والتربية والبناء ، والإعداد والتدريب ، وفي ميادين الممارسة الإيمانية بخصائصها الربّانيّة . وخاض الناس ميادين الممارسة

والتطبيق غير مزوّدين بالزاد الضروري والعدّة اللازمة . فانحرفت الجهود وضلّت السُّبُل ، وتوالت الهزائم في ميدان بعد ميدان .

ضعفت الحوافز الإيمانية ، فاختلطت الصور والمفاهيم ، وجرى الناس وراء الشعارات التي يطرحها المجرمون في الأرض ، كل يوم شعار جديد يحمل زخرف الفتنة وزينة الضَّلال . فركض الناس لاهثين وراء القومية حتى مزّقتهم بددا . ثم جروا وراء الاشتراكية وأوهام مساواتها حتى أهلكهم الفقر مع الفرقة والتمزّق ، وضاعت طاقات الأمة وخيراتها . ثم انطلقوا وراء أحلام الديمقراطية حتى جرفتهم في بحار من الدم والمجازر ، وشرّدتهم في الآفاق مع حسرات التمزّق والفرقة ، وزفرات الفقر والذلة ، وأنات التشرّد واللجوء ! حوافز الفتنة دفعت إلى ذلك كله ، عندما ضمرت الحوافز الإيمانية وانقطع ريُّها وغذاؤها .

ضعفت الحوافز الإيمانية وزادت ضعفاً مع تسلل هذه الأفكار المختلطة المنحرفة ، وجفّ ريُّها وينابيع روائها ، وانطلقت الحوافز المادية بكل جشعها وطغيانها . فتخلّف

المسلمـون عن تقـديم دينهم ودعوتهم للناس في الأرض ، وتخلّفوا عن تقديم المناهج التفصيلية لقضايا كثيرة في ميادين الممارسة والتطبيق في واقع الحياة ، وعجزوا حتى عن اللحاق ببريق الضلال مما يقدمه الغرب وأمثالهم ، وتخلّفوا عن ميادين الصناعة والعلوم مما يأمرهم الإسلام بالإعداد له ، وأصبحوا عالة على الغرب في كثير من أمور الحياة والفكر والأدب والصناعة وغير ذلك . لقد تخلّفوا حتى عرفهم العالم بأنهم دول العالم الثالث .

ضعفت الحوافز الإيمانية وتحرّكت بدلاً منها حوافزُ شتّى تدفع النـاس إلى سبل شتى على رأس كل سبيل شياطين الإنس والجنّ .

فهرس كتاب
الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام

الفصل الأول
المبادرة الذاتية

الفصل الثاني
معرفة المسلم لحدوده والتزامها

الفصل الثالث
الحوافز الإيمانية وواقع المسلمين

كتـب للمؤلـف

الرقم	إســــم الكتاب	
أولاً : كتب توجز النهج العام والنظرية العامة للدعوة الإسلامية :		
١	موجز النهج العام للدعوة الإسلامية وأساس لقاء المؤمنين	ط١
٢	أضواء على طريق النجاة	ط١
٣	النهج والممارسة الإيمانية في الدعوة الإسلامية	ط٥
ثانياً : كتب تفصل النهج العام والنظرية العامة والمناهج :		
٤	دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية	ط٦
٥	منهج المؤمن بين العلم والتطبيق	ط٥
٦	النظرية العامة للدعوة الإسلامية – نهج الدعوة وخطة التربية والبناء	ط٣
٧	منهج لقاء المؤمنين	ط١
٨	لقاء المؤمنين – أسسه وقواعده – الجزء الأول	ط٤
٩	لقاء المؤمنين – الجزء الثاني – الأهداف	ط٤
١٠	العهد والبيعة وواقعنا المعاصر	ط٤
١١	قبسات من الكتاب والسنة تدبر وظلال	ط١
ثالثاً : كتب تعرض أهم قضايا التوحيد في واقعنا المعاصر والنهج والخطة للدعوة		
١٢	التوحيد وواقعنا المعاصر	ط٣
١٣	الحقيقة الكبرى في الكون والحياة	ط١
١٤	النية في الإسلام وبعدها الإنساني	ط٣
١٥	الولاء بين منهاج الله والواقع	ط٢
١٦	الحوافز الإيمانية بين المبادرة والالتزام	ط٣

١٧	الخشـــوع	ط٢
رابعاً : كتب تدرس بعض القضايا الفكرية في الواقع :		
١٨	الشورى وممارستها الإيمانية	ط٣
١٩	الشورى لا الديمقراطية	ط٤
٢٠	الصحوة الإسلامية إلى أين ؟	ط٣
٢١	التعامل مع مجتمع غير مسلم من خلال الانتماء الصادق إلى الإسلام	ط١
٢٢	واقع المسلمين – أمرض وعلاج	ط٢
٢٣	بناء الأمة المسلمة الواحدة والنظرية العامة للدعوة الإسلامية	ط١
خامساً : كتب تدرس بعض أحداث الواقع وقضاياه :		
٢٤	على أبواب القدس	ط٢
٢٥	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع	ط٤
٢٦	عبد الله عزام – أحداث ومواقف	ط١
سادساً : كتب تدرس الأدب الملتزم بالإسلام والنقد (النصح) الأدبي ، وترد على المذاهب الأخرى		
٢٧	الأدب الإسلامي – إنسانيته وعالميته	ط٣
٢٨	النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء	ط١
٢٩	الحداثة في منظور إيماني	ط٤
٣٠	تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها	ط٢
سابعاً : الدواوين الشعرية :		
٣١	ديوان الأرض المباركة	ط٦
٣٢	ديوان موكب النور	ط٤

٣٣	ديوان جراح على الدرب	ط٣
٣٤	ديوان مهرجان القصيد	ط١
ثامناً : الملاحم الشعرية :		
٣٥	ملحمة فلسطين	ط٥
٣٦	ملحمة الأقصى	ط٢
٣٧	ملحمة الجهاد الأفغاني	ط٣
٣٨	ملحمة البوسنة والهرسك	ط٢
٣٩	ملحمة الإسلام في الهند	ط٢
٤٠	ملحمة القسطنطينية	ط٢
٤١	ملحمة الغرباء	ط٣
تاسعاً : كتب في الدعوة الإسلامية باللغة الإنجليزية :		
٤٢	خطة الداعية (The Caller,s Plan)	ط١
عاشراً : كتب ترجمت إلى لغات أخرى :		
٤٣	لقاء المؤمنين – الجزء الأول (باللغة التركية)	ط١
٤٤	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع (باللغة التركية)	ط١
٤٥	فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع (باللغة الإنجليزية)	ط١
حادي عشر : كتب في علوم أخرى :		
٤٦	دراسة الموجات الإلكترومغناطيسية (باللغة الإنجليزية)	ط١